رواية

مَتْكَسَرِتْش!

أسماء كمال

ماستر

متكسرتش

رواية..

أسماء كمال

الجمع والإخراج

التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/ ٢٠١٩/٢٠٨٧٠م

ISBN: 978-977-85571-5-2

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ماســـتر ©

٢٠٢٠م

Email: master.publisher@hotmail.com
Facebook: facebook.com/Master.PH
Smashwords: smashwords.com/master.ph
Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

إهـــــداء

إلي كل من يظنّ نفسه أنه كَسرَها ...
متكَسَرتش

مقدمة.. لمشوار طويل.. !

تسير في طريق مُظلم.. تسمع صدَي صوت نفسها لدليل واضح علي وحدتها في مكان واسع.. ترتدي سُترة ليليَّة خفيفة قصيرة في برد قارس.. ينسدل شعرها الطويل بطول ظهرها.. لا ترى سما من أرض.. لا ترى شيئ.. قدمها تسير ببطء للأمام.. لكنها لا تدري من أين اتجاه تسير.. لذا فكل الطرق المُفترض للأمام.. تسير بحذر تخاف التّعثُّر بأي شيئ مفاجئ.. !

بعد فترة من السير شعرت أن هنالك ما يدفعها ببطء من ورائها.. خلفها من يُحرّكها.. هي صورة فقط تتشكّل حسب من يدفعها.. استمر إحساسها بهذا الشعور فترة طويلة.. حتي فقدت القدرة علي الحركة وحدها.. نظرت لرجليها ويديها.. صُدمت.. شعرت أنها تسبح في فضاء وأنها فقدت قُدرتها الحركية.. تتحرك فقط لرد فعل ما.. انقبض قلبها.. سمعت صوت نَفَسها يعلو.. دارت بعينيها في الظلام الحالك محاولة أن ترى أي شيئ.. لتشعر فجاءة بيد تمسك يدها وصوت يقول (أنا جنبك متخفيش).. شهقت واتَّسعت عيناها.. رأت صدرها يعلو ويهبط بسرعة شديدة.. ولا تستطيع التنفس من الصدمة.. من هذا؟.. أنا لم أختارك..!

وما زال الدَّفع من الخلف مستمر تسير في طريق مظلم ترتجف من الخوف ولا أحد يُبالي بشعورها.. فقط يدفعونها.. بل يزيدونها دفعا !

تعبت من محاولاتها للهرب منه.. فصرخت.. لم يجب أحد عليها.. فصرخت ثانية بأعلي صوتها لتسمع صدي الصراخ يرنّ في

الفضاء ويرجع لها في دوائر يلكُمها بقوة في روحها.. فتشهق وتبكي.. لاحظت على جانبها الأيمن من بعيد نورا لشيئ ما ! وعلى الجانب الأيسر نورا آخر!.. شعرت بأمل بسيط يدخل قلبها.. وسارت مع الدفع بحماس لتراه ما هذه الأنوار.. لعلها نجدة ! حتي اقتربت منهم ونظرت بتشوش من الظلمة للنور المفاجئ علي الجانب الأيمن.. رأت باب مكتوب عليه التعود والاستسلام!

لم تفهم.. التفتت للشمال لتقرأ «الخيانة» !!.. عقدت حاجبيها ثم نظرت جانبها إلى الشخص الممسك بها الذي لا تراه حتي الآن من ظلمة الكون حولهما..

فهمت أن عليها اختيار باب من الأبواب لتدخله.. وقفت لحظة للاستيعاب.. !

لماذا يُخيّرونها الآن.. !

لم تلبث أن وقفت للتفكير لتشعر بأن روحها ستّقلع منها.. جميع الأبواب تشدَّها نحو اتجاهها.. لتتلفَّت رأسها نحو الاتجاهين في سرعة لترى خيالات جموع من الناس تدخل من كل الأبواب.. روحها تتمزق من الجذب من كل ناحية.. حاولت جمع قواها بكل الطرق وهي تتنفس بسرعة وعمق شديد لتجدد طاقتها حتي نجحت بالفعل.. ملأت روحها بطاقة تفوق كل ما حولها..!

بدأت تتحرك هي برجليها.. غمضت عينها.. أخذت نفساً طويل مَلأَ جسدها.. وأسرعت في مشيها حتي الرَّكض.. وركضت في طريق لا تعرفه.. فقط تهرب منهم ! لا تسمع أي صوت غير صوت الهواء الجاري من ركضها يصمّ أُذنيها....

ثم وقفت تلتقط أنفاسها لترى الظلام مجددا من حولها.. ولكنها تشعر الآن براحة لا تعرف مصدرها.. فقط شيئ يقول لها أنتِ في الطريق الصحيح.. أكملي !

دمعت عينها الواسعة من أثر ضغط الهواء علي وجهها وهي تركض.. سمعت فجأة ضوضاء من أقوال كثيرة تأتي عليها من كل جهه تكاد تخنقها.. فركضت مرة ثانية بقوة رهيبة وهي تغمض عينيها.. لا تلتفت لأي شيئ..

حتي استشعرت بضوء أزرق فاتح يخترق جفونها وهي مغمضة.. فتحت عينيها فرأت فاصل زمني.. إنه الوقت.. يفصل بين جانب مظلم وجانب يملؤه اللون الأزرق.. !!.. أخيراً ابتسمت..

قررت.. قررت.. قررت الدخول لهذا العالَم وهي تضحك.. رفعت قدمها لتتخطي الفاصل بخفة لا تدل أبداً علي كمية الركض الذي ركضته! وعيناها تلمعان من فرحة روحها للنور بتمازج بين لون عينها البني والأزرق ليخلق بعينيها عالم آخر!

لترى نفسها وهي تتخطي الزمنين يتغير لباسها الذي تقطَّع من الركض والشَّد والأقوال ! إلي لباس لا يرى أحد جماله من قبل.. ! الإرادة يا ساده تنير الطرق..

بعد تخطّيها ظلمتها وقهرها إلى عالَمها الخاص بها.. رأت هناك جَسد مُنحني يعطي ظهره لها.. حاولت أن تعرف من هو.. لا تدري ولا تُبالي.. اكتفت فقط بالاحتفال بنصرها وهي تعلم علم اليقين أنه كان وراءها ثلاث أبواب وأناس كثيرين وأقوال أكثرولكنها تجاهلتهم..

التفَّت حول نفسها ترقص فرحة ونسيت تماماً الوحدة والتعب من رحلتها.. تلك العنيدة !

ورقصت.. رقصت.. رقصت حتي الضحك.. إنه سحر!!
معاناة تستحق الصمود أمامها....
إنها حياتُكِ....!

(١)

في جو هادئ تماماً،تجلس علي الأرض في شُرفة الشالية المُطلَّة علي البحر مباشرة.. يسمعان صوت البحر.. صامتان.. يشعران ببرودة الليل..

كادَ أكثر من مرّه أن يقطع صمتها.. لكنّه يعرفها جيداً أصبحت تعشق الوحدة..

هناك أوقات تحتاج لبعض الأشخاص جانبك، حتي لو لم تستطيع التحدُّث معهم في ذلك الوقت.. فقط وجودهم يكفيك....

شارده معلّقه نظرها علي اللّا شيئ....

يجلس بجوارها..

فقالت بخفوت :

- فاااكر..

فتح عينيه ونظر لها، أكملت بهدوء ووجهها ممتلئ بابتسامة صافية :

- فاكر أوّل ما عرفنا بعض.. كنت بكلّمك كل يوم وأنا رايحة وجايّة من المدرسة..

ابتسم مما تذكر، وقال:

- عمري ما كنت أتخيّل ساعتها إننا هنفضل مع بعض السنين دي كلها..

ثم أشعل سيجارته وهو يكمل ببسمه ساخره :

- كنت خربها مع بنات كتيير...

والتفت لها ناظرا وأكمل بنبره واثقه :

- بس انتي فيكي حاجه كانت بتشدّني.. إحساس إني مسئول عنك..

- منذ ثلاث سنوات.... -

كانت (سما)متربّعه علي الكنبه أمام التلفاز.. متردّدة لما ستفعل.. أخذت هاتفها وضربت الرقم الذي ظلت تحفظه ست سنوات منذ أن عرفته دون تسجيله ولو لمره واحده علي هاتفها وكأنّ ذاكرتها خُلقت بتسجيل هذا الرقم دون إرادة منها..

وقلبها يخفق في سرعه من توترها....
هل سيردّ عليها ويرحب بها بعد ما قطعت معه الاتصال؟
قاطع أفكارها صوته وهو يبدو أنه كان نائم :
- آلو..
ردّت:
- آلو..
قال متسائلاً:
- مين معايا..
أجابته بترقّب :
- أنا سما...
علا صوته وكأنّه كان ينتظر هاتفها،يعلم أنها ستهاتفه في يوم ما أو ربما غدا :
- يااا اه سما..عامله أيه يا بنتي ؟عملتي أيه مع جوزك رجعتي ولّا لأ؟... لما كلمتيني آخر مرّه وقولتيلي إتجوزتي وانفصلتي بعد كده قطعتي معايا.. فهمت إنك لسّه في مشاكل مع جوزك....
ضحكت في راحة، لم يتغير كثيراً، يظل يتكلّم دون فرصة للردّ عليه....
ثم قالت في محاوله للتماسك :
- أنا إطلقت

واستطردت وقد بدت علي صوتها الحزن :
- الحمد لله..

شعرت باعتداله من نومه،قال محاولاً من تخفيف آلامها :
- أيه اللي حصل بس فهميني....
شعرت بثُقل....

ما هو الرّد علي من يسأل مطلّقة عن سبب طلاقها..
ما أسخف السؤال ؟!
وما أسخف الذين يسألونه...

قال مغيراً دفّة الحديث في سرعه وذكاء،عندما شعر بضيقها:
- انتي يا بت مجنونة كده علي طول كل شويه تكلميني من رقم وتختفي بعدها..
وأكمل ضاحكاً:
- أنا شايفك وعارفك وهجيبك..

ضحكت رغماً عنها،دائماً هو الشخص الذي يهوّن عليها مصائب الدنيا..لا يرهقها بأسئلة لماذا تبتعدي عنّي ؟،لماذا لا تحادثيني؟،يتركها وراحتها،يقدر جيداً أننا في مجتمع شرقي لا يحقّ للفتاه أن تُصادق رجلاً لذلك كان يعلم سبب ابتعادها عنه في بعض الأوقات....

هو صديقها منذ ست سنوات،الصدفة جمعتهما علي موقع التواصل facebook،أو بالأحرى تفكير تلك المراهقة التي تبحث عن أي اسم،فظهر لها (ثائر مراد)..

أصبحا أصدقاء لثلاث سنوات حتي بلغت الثامنة عشر من عمرها، السن الاجتماعي للزواج.. وليس السن القانوني فقط..
ثم قطعت معه الاتصال دام سنتين، عندما ارتبطت وتزوجت....

* * *

- إحساس إن ف يوم من الأيام هبقي أبوكي وأخوكي وسندك..
وصمت لحظات، أخذ نفساً من سيجارته بوجه بائس، وأكمل حزيناً :
- وجه اليوم ده.. لمّا رجعتي وقولتي إنك إطلقتي....
تسمع كلامه داخل عقلها في وسط ذكريات.. وتبكي في صمت....

* * *

- يوم طلاقها.. -

الغرفة المُظلمة....
نظرت (سما) لكل شيئ حولها، رأت ظلام في ظلام، جلست علي سريرها أغمضت عينيها في آمال أن تهدأ ولو قليلاً....
شعرت بالفقد، بالنّقص، عقلها لم يتركها، عرض عليها مئات من الأحداث، والآلاف من الأسئلة، شعرت بالغرفة تدور بها، اعتصر قلبها لعدم وجود صحه من الإجابات..
ما الذي حدث؟!
ما الذي عاد بي لتلك الغرفة التي ودّعتها يوم زواجي؟!!
كادَت أن تصرُخ من الدّوران التي تشعر به داخلها..
أشخاص وأصوات يظهرون فجاءه ويختفون سريعاً، محادثات تتذكرها..

انسابت دموعها.. أخذت نفساً عميقا كأنّها تحيا بعد موتها.. ثم هدأ كلّ شيئ.. تاركه دموعها تسيل بلا مُقاومة..

شعرت فجاءه بسكون يعتري جسدها.. شعرت بفراغ بعد زحام من التساؤلات....

وفتحت عينيها.. ملأت صدرها بالهواء ببطء وعمق شديد،وأفرغته في راحه مبالغ فيها....

هذه هي الصدمات....

تأتيك بكل قوّتها تصطدم بك.. تُوقفك في مكانك.. لا تدري من أين أتت.. ولا أين تذهب بك.. فقط تتسمّر مكانك.. تقول لك أنا آتيك كي تُغير مسارك.. لا أعرف إلي أين.. فقط غيّر....

وتترُكنا كي تأتينا ثانية إذا ضلّينا الطريق مرة أُخري.....

لا ندري أنحن من أغبياء حقاً ؟؟؟

أم هي من تطلُب شيئاً لا تعرفه من الأساس؟!!!!

هبّت واقفه.. قرّرت التخلص من أي شيئ يخصّ الماضي، وقفت تائهة، تذكّرت أنه لم يهدها بهديّه من قبل للتخلص منها، ابتسمت من غباؤه في سخريه مريره....

من لم يُهد امراءه بهديّه، فقد عجّل بنسيانه !!!

أمسكت هاتفها ومسحت كل ما كتبته في المفكّرة، كل ما كان يضيق بصدرها ولا تبوح به لأحد.....

وأخذت عهد علي نفسها أن تُحاول جاهدة أن لا تُفكر في الماضي أبداً....

هل لديكم الجراءة للتخلّص عن كل ما تنتمون إليه؟!

من مبادئ، من أفكار، و من كل شيئ تَحتفظون به داخل قلوبكم ؟!!!

هل لديكم الجرأة للابتعاد عن كل ما حولكم لفتره، تعتزلون عالَمكم؟!

ليس القرار بالسهل أبداً، لذا عندما تضيق الدّنيا عليك، فاعلم أنها تأخذ لك هذا القرار بدلاً منك....

استغل هذه الفرص، أعد حساباتك.. وغير مسارك على الفور.. فلا مجال للقلق حينذاك!!!

فتاه تَعشق الحياه بكلّ ما فيها، ياا لسذاجتهاااا...

كانت تأمل في زوج يُقدّر قيمة زوجته التي حرَمت نفسها من كل شيئ لأجله، فجَاء من سَلَب منها ما تَبقّي من روحها....

زواج دَام أقل من سنه، عرفت فيها كلّ معاني الحياة المؤلمة....

لو كان يقصد هذا بالفعل، لَمَا فعلَه بهذه الصّنعة....

قَتل حلمها التي تربّت عليه دُون إرادتها.....

..... الزواااااااج.....

ما الذي تفعله إذن !!

تُكمل في علاقة وهميه؟

أم تقف أمام وَجه السّجّان الذي يسجنها.... بعد طلاقها....

المجتمع.....

لكن فتاه مثلها رغم بساطتها ورقتها.. فهي قادرة علي تحمّل عواقب تلك الكلمة... بل وتتجاهلهم تماماً....

أين حبّك للحياه؟!

أين أنتي.. ؟!!!

للحظه تَفاجئت بخسارتها في تلك اللعبة، عدّاد الزمن يمضي

بها، يرسم علي وجهها علامات سن اليأس، وهي ما زالت في العشرين....

تتذكر جيداً عندما سألته ذات يوم :
- انت ليه شايف الدنيا سوده كده؟
ردّ عليها بكامل قناعته لما يقول دُون أن ينظر لها....
نادراً ما كان ينظر لعينيها مباشرة....
- أخرنا يعني هنعيش كام سنه.. ٦٠ سنه.. !!!
وأكمل ببروده التي تكرهه :
- يعني ناقصلي ٣٠ سنه.. وكده كده كلنا هنموت.. أدينا عايشين وخلاص...

لم تفهمه جيداً وقتها، لكن اندهشت، ما علاقة ما قاله بسؤالها...!
هو دائماً لا يرد رد مباشر علي السؤال....

كان يُرهقها بكثرة التفكير وربط الأسباب، لمَا تسأل ولمَا يُجيب...!
لك أن تَتخيل فتاه تعشق الحياه تتزوج من رجل يعيش بهذا المنطق الغريب....

لذلك قرّرت التخلّص من شيئ كان يُعيق تنفسها من أن يصل الأُكسجين لكل خلايا جسدها حتي أصبحت جُثّه متحركة...
لا تُزوجوا فتياتكم بعدم رغبتهنّ.. دعوهنّ وشأنهنّ.....

(٢)

- وجه اليوم ده.. لمّا رجعتي وقولتيلي إنك إطلقتي...

لم تردّ عليه، شارده تماماً...

تقف الآن علي مُفترَق الطُّرق مرّه أخري، تُفكر ماذا تفعل بعد.....

اعتدل في جلسته موجهاً جسده ناحيتها يُربّع رجليه، وهي ما زَالت مُمدّده ساقيها....

نظر لعينيها الواسعة، وقال متسائلاً بصوته الرجولي الذي تحبه :

- ممكن أعرف انتي خايفه من إيه دلوقتي ؟

فزَعهما صوت هاتفها الذي رنّ للتو....

رمقت الهاتف وجدت اسم كإجابة علي سؤاله، تغيّرت ملامحُها في لحظه...

ثم ضحكت ونظرت له، وقالت مازحه :

- أهو خايفه أبقي زي (نورا)..

فضحك لضحكها، ردّت كمن يترقب مصيبة :

- أيوا يا(نورا) خيييير..

سمعت صوتها مبتسم وهي تقول :

- لأ متخافيش خلاص إحنا نحّسنا.. وبعدين انتي عروسة.. بلاش نعقّدك أكتر ما انتي متنيلة....

ضحكت بصوت عال، وعُيونها دامعه..

في تَمازُج غريب....

لاحظت شروده بها،رمقته بنظره جانبيه وجدت عينيه دامعتان وهو يشيح بنظره بعيداً..

شعرت بدفء يغمُر كيانها...
قالت ساخرة وهي تلف رجليها لتربعها مثله وهي تعتدل أمامه :
- عروسه !!!
وأكملت وهي ترسم علي الأرض بأصابعها بطريقة إعتياديّة :
- إدعيلي بس أبطّل تفكير ووافق..

* * *

- بعد طلاقها.... -

قومي يلّا يا(سما)....
قالتها أمها لتوقظها....
(نورا) برّه أدخّلها لك ولا هتخرجيلها انتي...
ردّت وهي نائمه.. دخليها....

دخلت (نورا)بحذر، تتفحّص المكان جيداً، في حين (سما) تعتدل من نومها.. صاحت (نورا)فيها :
- ايه الضلمة دي يا حاجه..
ردّت بنصف نظره :
- المفروض أعملك فرح وانتي داخلة يعني..
وأشارت لها في علامة أن تُضئ النور، وأكملت بابتسامة ساخرة :
- واحدة نايمة.. عايزاها تعمل إيه تنور البيت كله..

لم تضحك، التفتت لها بعد ما أشعلت النور،ثم اقتربت منها ببطء،جلست جانبها، وقالت بتخاذل :
- زهقانه أوي..
ثم رمقتها رأت (سما) تنظرلها نظره فاهمه لما ستقوله بعد ذلك
- زهقانة من البيت شوية، قولت آجي أعقد معاكي..

هبّت (سما)واقفة، وقد فهمت ما تخفيه عنها، قالت بسخريتها المعتادة :

- زهقتي من ٥ شهور جوازبس.. !

ثم أشارت علي نفسها بجديّه مصطنعة :

- ده أنا ليا الجنّة بقي.... فضلت ٩ شهور....

أدركت (سما) أن هذه الفترة من الزواج تكشف الصراعات الزوجية ، وليس الزهق فقط....

أكملت (سما) وهي تفتح النافذة معطيه ظهرها لها :

- مش هقدر أنصحك بحاجه....

والتفتت لها وملامحها غير واضحة من ضوء الشمس الذي يأتي من خلفها.. واقتربت منها حتي جلست أمامها رابته علي كتفيها.... واستطردت كلامها :

- اللي اكتشفته في الفترة اللي فاتت إن الكلام في الموضوع ده بقي محفوظ لدرجه بايخة أووي....

وقامت لترتيب غرفتها،في حين أراحت (نورا) ظهرها علي السرير في فترة ليس بالقليل في صمت، لتقول فجاءه:

- إحنا المفروض نختارعلي أي أساس....

يعني نختار اللي شبهنا.. نفكر بنفس التفكير..

نقول نفس الكلام.. نبقي نسخة واحدة في كل حاجة..

ولّا نختار اللي مختلف عنّنا.. عشان يبقي في بنا جديد..

يبقي في بنّا حوار مختلف عن اليوم اللي قبله....

مش نبقي حافظين بعض.... طب هنتكلم ليه.. وف إيه.. !!

سكتت لحظه، ثم أكملت كمن تُحدّث نفسها :

- وبالرغم من اختلافهم يقدّروا بعض.. ويحترموا بعض.. محدّش يقلل من التاني لمجرد إنه اختلف معاه في رأي.. بس علي الأقل ميكونش في ملل.....

واعتدلت جالسه في توتّر وعصبية جاهدة لإخفائهما، وقالت عاقدة حاجبيها ناظره أمامها، لا على شي محدد بعينه :

- مش كل يوم بنعمل نفس الحاجات.. بنفس الترتيب... ده إحنا بقينا نتكلم كلام محفوظ ولا فاكرين أسبابه إيه أصلاً....

وأكملت وصوتها يرتجف من التوتّر:

- روتين.. روتين.. روتين.... زهقت نفسي أهرب من الدّايره اللي لقيت نفسي فيها مرّه واحدة....

قابل فتاه بعد زواجها، ستصطدم بكلامها....!

رفعت عينيها ل(سما) رأتها واقفة تنظر لها نظرة ليس لها معني....

سألت نفسها (سما) كل تلك الأسئلة، سمعت بداخلها إجابات لكل تلك الأسئلة....

تجاهلت تماماً الأصوات التي توجد داخلها الآن.. وابتسمت ابتسامة بلا معني أيضاً وردّت وهي تهزّكتفها بلامبالاة:

- مفيش راجل يقبل يتجوز واحدة مش شبهه....

وأكملت بطريقة مؤكدة لكلامها :

- هو عايزواحدة إسطنبا منه..

ردّت (نورا)ساخرة :

- عشان يريّح دماغه....

أومات (سما) رأسها إيجاباً، أن نعم...

ثم قالت متسائلة كأنّها تذكرت شيئاً فجاءة:

- هي (مريم) مختفية بقالها كتير ليه.. متعرفيش حاجة عنها!!

صمتوا تماماً من حزنهم لما تذكروه، ثم قالت (نورا) بصوت شارد :

- (علا) اللي وحشتني أوي.. يا ريتنا مكبرنا.. مكناش شايلين هم حاجة..

وأكملت ناظرة لها بحسرة:

- هي الدنيا عملت فينا كده ليه..

ثم ضحكت ضحكة قصيرة بقهر وقالت:

- فاكرة لمّا كنّا بنحلم إن كلّنا نتجوز ويبقي عندنا عيال وبيت ونتجمع وإحنا مبسوطين..

وابتسمت بدموعها وقالت:

- إحنا فعلاً بنتجمع.. بس كل واحدة جواها أحلام وأفكار إتحبست.. وجعتنا أوي فكرة الأحداث السريعة اللي جت ورا بعضها من ساعة مخلّصنا دراسة..

وأكملت بطريقة إستهزاءية، في حين (سما) تجلس جوارها بخيبة أمل لما تسمعه:

- من خطوبة بقي لجواز للي خلفت وإطلقت واللي طلقت بعدها كمان للي اتجوزت وحامل وزهقت من أول ٥ شهور جواز....

وسكتت لحظة وقالت:

- وللي بتخون جوزها.. !!

أغمضت (سما) عينها تاركة دموعها للحقيقة المُؤلمة.تحاول السيطرة علي روحها من ظلمتها، و(نورا)ترفع رأسها للسقف تحاول أيضا السّيطرة علي أفكارها ولكنها لم تستطع..

فأكملت (نورا) بصوت مذبوح:

- إحنا إتوجعنا أووي واندّاس علينا.. لأ وايه المفروض كمان نضحك ونهزر عشان منبقاش نكدين..

ثم نظرت ل(سما) متسائلة، وقالت بعصبية ملوّحة بيديها:

- انتي ساكتة ليه.. كلامي صح ولا لأ ؟!

لتسحب (سما)نفسها من كل جرح في خلاياها منتفضة قائلة بصوت خفيض :

- صح.. صح جداً لدرجة إني مش عارفة أقولك أيه.. مين الصح ومين الغلط والمفروض نعمل أيه..! كلنا بندور ونلف حولين بعض.. تمااام.... بنفضل نتكلم ونخطّط ونحلّل ونقول ايه الصح وايه الغلط.. وفي الآخر أول ما نقوم كل الكلام بيتبخر.. عشان خايفين.. طب ولازمة الكلام ايه بقي....

وأكملت بشيء من الصرامة :

- اللي عايز يعمل حاجة مش بيقعد يتكلم عليها كتير.. بيعمل علي طول.. ! دي الحاجة الوحيدة اللي متأكدة منها إنها صح..

هزت رأسها نورا موافقة ومبهمه أيضا وهي تقول:

- يعن....

= قومي روّحي بيت جوزك.. قولتلك الكلام ملهوش لازمة..

قالتها (سما)مقاطعة كلامها وهي تضع يدها علي ظهرها باطمئنان، وأكملت بنبرة حنين :

- وظبّطي وقت كده علي حسب ظروف بيتك عشان نروح نُزور(مريم)..

فنظرت لها(نورا) منتظرة تكملة كلامها بترقب، في حين(سما) سكتت لحظة ثم أكملت بنبرة غريبة عنها:

- وكلّمي (علا) علي الأقل نطمّن عليها.. بغض النظر عن كل حاجة بقي! هي صاحبتنا برضه قبل ما تقلب عليها نفسها.

* * *

(٣)

- إدعيلي بس أبطّل تفكير ووافق..
قالتها (سما)ل(نورا)....
ثم قالت(نورا)متسائلة:
- قرّرتي إيه يعني....
لترد (سما) تُغيّر الحديث :
- أنا في مشوار كده.. هخلص وأكلمك..
انتفض (ثائر) واقفاً، وهو يقول :
- هروح اعمل قهوة أعملك معايا.. ؟
أومات برأسها موافقة...

قامت هي أيضاً ببطء، وقفت على سور الشرفة مستمتعة بالجو الهادئ، لا تسمع إلا صوت البحر، ترى السماء الصافية الممتدة أمامها تنحني لتُغلّف الكون بأكمله بلونها الساحر، تشمّ رائحة البحر المفضلة لديها.....

تقف ساندة راحتها علي السور، أغمضت عينيها لأول مرّه منذ فترة تستمتع بهدوء داخلها، لا تفكر في أي شيئ علي الإطلاق، تُغمض عينيها وفقط في حالة سكون تصل لأعماق روحها!!

ذلك الشعور بالهواء البارد داخل جسدها، شعور بالفراغ داخلها يجعل الهواء يسير بين خلايا جسدها يُحيها بارتياحية شديدة....

شعور بالبرودة يتخلّل قلبها ليغمرها بالكامل جعلها تظن للحظه أنها ليست علي الأرض.. !!

إحساس بلّا شيئ....
بعد كل شيئ.....

ظلّت واقفة فرحة بسكون روحها أخيراً، مبتسمة ابتسامة واسعة تشعر بها داخلها قبل أن تُرسم علي شفاهها....

اخترق هدوءها، سامعه صوته خلفها، كم تشعر معه بالأمان، تشعر أنه نفسها، لو لكل بني آدم منّا نسخة له من الجنس الآخر، لكان هو نُسختها...

يقضي معها ليلة فارقة في حياتها، ليلة فاصله بين ماضيها ومستقبلها، ليلة تُحاول فيها أن تُقرّر بعد تفكير عميق...

ماذا تفعل بعد....؟

تنحنح بصوت لطيف :

- إحم إحم.. التفتت خلفها لتراه يُجهز لها سفرة مصغرة..

اتسعت ابتسامتها الرقيقة وشعرها الطويل يتطاير علي وجهها، وهو يلوّح بيديه بطريقة معروفة بمعني أن تتفضل :

- تررااا...

وضحك،لترى كرسيّان بلاستيك وترابيزة زجاج صُغيرة جداً، عليها فنجانان من القهوة..

ليُكمل هو بطريقة تقريرية، ويغمز بعينيه:

- قولت لزوم القهوة نعمل قعدة كده بدل مَنقضّيها أرضاوي

خطت خطوات بسيطة وجلست علي مقعدها في هدوء، قال في مزاح :

- لفّتيني الشاليه كله عشان ألاقي الحاجات دي..

وأكمل وهو يجلس بأسلوبه المضحك :

- مخبياهم ليه.... هاااا..

لم ترد، وما زالت مبتسمة في حالة سكونها...

أخذت نفساً عميقاً، وهي تُزيح المقعد قليلاً لتجعله بزاوية بين البحرو(ثائر)، وتقول بصوت هادئ :

- شكراً علي المفاجأة دي....

وأكملت وهى ترفع حاجبيها وتهزّ رأسها استمتاعاً ممسكة بقهوتها لتقول بكل تلقائيه:

- يااااااه..

بحر.. قهوة.. ووحده...

قالتها وهي تغمض عينيها وتميل برأسها تشم رائحة القهوة...

لا تحسبهُ فرداً أبداً....

أقسمت أن هذا اليوم ستقضيه وحدها، فسبقها هُناك....

جاءت هنا من الأساس كي تصمُت لتسمع أصوات قرارتها الداخلية....

هذه الصداقة..

يأتونك.. يفهمونك.... ويتقبلوك هكذا!!

رفعت رأسها في حالة لم تمرّ بها منذ فتره طويله، كانت تحتاج إلي كل هذا السكون لتملأ طاقتها من جديد..

كمن كان يركض ثلاث سنوات بلا راحة، وقرر فجاءه

أن يقف ليرتاح قليلاً....

ليُكمل ركض...

أخرج علبة سجائره وأشعل سيجاره، كمعظم الرجال يلزمون شرب القهوة بالسجائر..

تذكرت مقولة قرأتها في كتاب ما،لا تعرف ما سبب تذكرها بها عندما أشعل سيجارته، ربما لأن معظم السيدات يقلن لأزواجهن لا

تُدخنوا بجانبنا.. ويُدخنون أيضاً..

فقالت له ساخره بابتسامة :

« فليخبرنا الرجال بأي طريقة تحبون أن نتعامل بها معكم.. لكي نفعل عكس ما تقولون.... هكذا تُعاملوننا..

«أرئيتم استفزازاً أكثر من ذلك.. !»

فضحكا بصوت عال..

* * *

وصلوا(سما) و(نورا) لبيت (مريم):

سلموا علي أمها، رأوا علي وجهها الحزن،تقول لهما :

- تعرفوا تخرجوها من البيت....

نظروا لبعضهما، فهمَا لماذا تختبئ في البيت، ثم ردّوا عليها في وقت واحد:

- من عنينا يا طنط..

دخلوا غرفتها في لهفه أن يروها ، وجدوها تشاهد التلفاز، جانبها بنتها، وقفت (نورا) أمامها ناظرة تقول لها في تعجل:

- يلّا قومي عايزينك في مشوار كده...

في حين (سما) تفتح خزانة ملابسها لتختار ملابس لها،

ردّت (مريم) بصوتها المختنق من قلّة الكلام:

- مش عايزه أنزل

لتصيح فيها (نورا):

- هو بمزاجك.. بقولك عايزينك في مشوار لينا مش ليكي..

وأكملت:

- وبعدين أنا حامل.. وعايزاكو تساعدوني في شرا هدوم البيبي..

تفاجأت (مريم)بخبر حملها ووقفت تحتضنها قائلة:

- ألف مبروك وربنا يقومك بالسلامة...

ثم قالت بعد لحظه تفكير:

- هدوم ايه.. ده انتي تلاقيكي في الشهر التاني أو التالت هتجيبي هدوم من دلوقتي

ليضحكوا (سما) و(نورا)،وترد عليها (سما):

- آه هي هتجيب من دلوقتي.... يلّا بقي متجنناش البسي وخلّصي عشان منتأخرش..

وأمسكت (نورا) هاتفها وهي تنظر ل(سما) جالسة، تعلم أن هذا لت يمُر بالخير أبداً..

لتطلُب(علا)....

سمعت صوتها ترد عليها بلهجة من غاب عن وطنه:

- أهلاً أهلاً (نورا) وحشتيني أووي..

قالت (نورا):

- و انتي أووي.. بقولك أيه إحنا خارجين أنا ومريم وسما هتعرفي تنزلي دلوقتي؟

سألتها وهي تعلم أن بُوسعها النّزول في أي وقت، فابتسمت(سما) من سؤالها، و(علا) ترد :

- آه قشطه أنا نازلة أصلاً..

دخلت (مريم) الغرفة بهدوئها من غير كلام لتخبرهما بصمتها أنها جاهزة،رمقتها (نورا) فقالت ل(علا) :

- طيب بُصّي إحنا نازلين دلوقتي في الكافيه اللي جَنب بيت مريم.. هنستنّاكي هناك..

جلسوا في الكافيه، منتظرين (علا)..

ممكن بقي نعرف انتي حابسة نفسك ليه....

قالتها (سما)ناظرة ل (مريم):

ردّت(مريم) بلامبالاة:

- المفروض أروح فين يعني....

اكتفت (نورا) بالنظر لهما،تعلم إلي أين سيدور الحديث الآن..

قالت (سما) متسائلة:

- قاعده مستنياه إيه.. كل يوم بيعدي عليكي مش هيرجع تاني.. وانتي زي ما انتي من ساعة مطلقتي..

وسكتت لحظة وعلّت صوتها تُشير لها :

- قعده مستخبيه من إيه...

رأوا (علا) تدخل من بعيد الكافية بأسلوبها الذي طالما حذروها منه،فالتفتت (مريم) لترد علي (سما) بلهجة خبير، كأنّها هي من تنصحها:

- انتي بس عشان في الأول.. لسه مَحتكتيش بالناس كتير.. لسه مأخدتيش كمية الكلام والنظرات الكافية اللي تخليكي تحبسي نفسك..

استني شويه كده.. ولمّا تحبسي نفسك زي.. هتفهمي أنا أقصد إيه...

ضيّقت (نورا)عيناها من ذهول الموقف،تحاول استيعاب ما يحدث !... كيف يتحدثون الآن مُتجاهلين مجيء صديقتهم التى لم يرونها منذ عدّة شهور!!

التقت (علا) بهم تسلم عليهم بحرارة اشتياق،ثم تجلس باستراحة من مشوارها مقابلة في جلستها ل(نورا) ونظرت لهم وقالت :

- وحشتّي جداً.. يااه يا بنات فين أيام زمان..

رَحّبوا بها بابتسامات مزيّفة، شعرت (سما) بضيق لما قالته (مريم) قبل قدوم (علا)، لا تحب أن تقول كلاماً معاد، ولكن الحديث

يدور في هذا الفلك، و(نورا)ظلّت صامتة لأنها تعلم كل الردود والأفكار التي ستقال، فما الجديد التي ستضيفه....

- لذلك فضّلت الصمت !!

بلعت (سما) ريقها وسألتها وهي تضع يدها علي خدها في طريقة بائسة منها:

- مستنيه تتجوزي تاني.. ؟

وقالت بسرعة قبل أن تسمع ردّها:

- طب لو اتجوزتي واطلقتي تاني.. لو ما ارتحتيش معاه هتعملي إيه.. هتقعدي تستني تاني تقضّي طول عمرك تستني.. طب وحياتك انتي فين.... عادي يعني واحدة إتجوزت ومرتحتش.. تقوم تشوف حياتها لغاية ما تلاقي واحد يستهلها.. مش تقعدي تستنّي يجي واحد تاني وخلاص اللي هو ممكن مترتحيش معاه برضة..!

شعرت (نورا) بتوتر من حدّة الحديث بينهما، واتّسعَت عينها دهشة من تجاهلهم (علا) للمرة الثانية فاعتدلت في جلستها وتنحنحت قائلة لتهدئة الموقف:

- يا جماعة كل واحدة فينا بتتكلم من وجهة نظرها هيّ....

وأكملت موضحة، تنقل نظرها بينهما:

يعني كل واحدة وشخصيتها.. اللّي برضى بيه أنا ممكن ميرضاش بيه غيري.. واللي يشوفني من بره يقول إده إزاي عايشه كده أنا لو مكانها كنت عملت وعملت... بس الحقيقة إن شخصياتنا وأفكارنا مختلفة.. وكل واحد بيحكم علي التاني من وجهة نظره هو.. وفي النهاية كلّنا صح...

رفعت (علا) خُصلة من شعرها الأحمر القصير عن وجهها وهي تُخرج علبة سجائرها وتُخرج سيجارة تُشعلها بسلام نفسي وهدوء

وكأنها لم تتأثّر بالحديث، فالتفّوا لها، لتخرج دخّاناً من فَمها ببطء رافعة حاجبها وترفع رأسها لأعلي, قائلة:

- في أيه.. كملو كلامكو.. سكتو ليه.. أنا مُستمتعة جداً..!

سكتوا جميعاً من سخافة الموقف.. كانوا يريدون هذا التجمّع منذ فترة ولا يدرون أنهم تغيّروا عن بعضهم هكذا بالرغم من عدم طول الوقت لآخر لقاء لهم.... لكن هناك دائما فترات في حياتنا تغيرنا للأبد (فترة الرحلة الأولي للتغير)..وغالباً هذه الفترة في أوائل العشرينات عندما نتخلّص من حياة الحصص والفصول ونخرج لعالم تطبيق النماذج الحقيقية فنصطدم بنظريات وتجارب غير الذي تعلّمناها.... فنتغير!! كما تتغير المعادلات علي حسب طبيعتها الداخلية والظروف المحيطة بها.. فلا تتعجبوا عندما نظل نتعلم اللغة الإنجليزية منذ صغرنا وعندما نتخرج لا نستطيع تحدّثها.. بل نتغير.. ونتفاعل مع الظروف المحيطة بنا ونخترع لغة (الفرانكو) !!

ظلت (عـــلا) تنفخ بدخّانها مستمتعة وكأنّها بمفردها، شعرت(سما) باختناق من تدافع الكلام داخل حلقها ولكنّها تحبسه بارتشاف قهوتها، في حين (مريم) مُعلّقة نظرها علي الترابيزة شاردة، و(نورا) تتحسّس بطنها تشعر بألم من حَملها..

في الظّاهر هن يشتركن في المشهد،ولكن كل منهن الآن تسبح في عالَمها الخاص، من المستحيل أن تشعر إحداهن بالأخري مهما قالت.. فمن من اقتربوا منّا مهما اقترابهم يصلون لأعماقنا ؟!

رفعت (علا) رأسها ناظرة للسماء في هذا الكافية المكشوف مبتسمة تضع رجل علي الأخري تسمع موسيقي خلفها تملأ هدوء المكان،وازدادت ابتسامتها تدريجيا حتي همهمت ضاحكة وقالت

مخترقة إبحارهم بنبرة ساخرة ضاحكة:

- يخربيت النكد اللي انتوا فيه مالكو مكبّرين المواضيع ليه..

ثم نظرت لهم بعينين حالمتين وأكملت بنفس أسلوبها:

- مكبرين المواضيع لدرجة إنكوا نسيتوا تطّمنوا عليّا واحنا بقالنا اكتر من سنه مشوفناش بعض؟! فو..

قالت (سما) تقاطعها بسرعة:

- إحنا عارفين أخبارك علي فكرة.. كنا بنسأل عليكي دايماً.. بس كل اللي مش عارفينو هو انتي مرتاحة في حياتك إزاي كده !!

كانت (سما)تتمني في يوم أن تلتقي بزوجة تخون زوجها لتفهم ما طبيعة شعورها تجاه ما تفعله، ولكن لا تتخيل إنها صديقتها..

فهمت ما تقصده، مالت (علا) للأمام قليلاً.. أخيراً تتحدث أمام من يعرفون حقيقتها.. تتحدث دون لبس أقنعة، نظرت (نورا) ل(سما) لائمة من سؤالها، و(مريم) ما زالت شاردة معلّقة نظرها علي اللا شيئ تسمع حديثهم لا تصدق لما وصلوا له.. تشعر أنه حلم.. فقالت(علا) كمن يتجرّد من لباسُه ليعلن حقيقته،دون أن تنظر لإحداهن :

- إحساسي !! أول مرة من فترة حد يسألني عن إحساسي..

وأكملت بعد لحظات:

- كلّنا زي بعض وقعنا علي دماغنا.. بس الفرق هي طريقة تعامل كل واحد مع وقعتو..

وأشارت علي(مريم) وقالت بسرعة تريد أن تنهي كلامها :

- في اللي بيُقع ويفضل مستنّي اللي يقوّموا..

و أشارت علي (نورا):

- واللي عمال يغرَق وسايب نفسه.. !

ثم أشارت ل(سما):

- وإنتي بتحاربي عشان تقومي وتكمّلي وتثبتي إنك متوجعتيش

وقالت ببطء ناظرة في عين (سما):

- بس انتي إتوجعتي....

كادت (سما) أن تتحدث، فقاطعتها (علا) مكملة بتفاخُر غريب:

- أنا بقي الواقعة جننتني ولا عرفت أقوم ولا عارفة أفضل واحبس نفسي في مكاني.. فعادي بقي.. يعني كلنا في نفس المركب.. كلنا خارجين من نفس الحادثة....

التفتت لها (مريم) بغضب مفاجئ قائلة:

- مين دول اللي كلنا في نفس المركب..

وأكملت، في حين (سما) أراحت ظهرها للخلف تبتسم بذهول، و(نورا) اشتدَّ عليها الوجع:

- انتي لوحدك..

وأشارت علي (سما) مكملة:

- إحنا اطلقنا آه بس محترمين.. أكرملك إنك تطلقي ولا إنك تخوني.. !!

ردت (سما) ببسمة ساخرة، كأنها تتكلم بلسان (علا):

- طب والناس.. أبقي مطلقة..

رمقتها (علا) بنظرة جانبية وهي تشعل سيجارة ثانية ببرود تام

تتجاهل نقاشهما، رجعت (مريم) بكرسيها للوراء قليلاً من عصبيتها وهتفت :

- ناس ايه.. ؟! وهي الناس بتسيب حد في حاله أصلا كده كده بيتكلموا.. يبقي مفرقتش متجوزة من مطلقة..

سمعت (علا) تهمس :

- من خاينة..

وقفت (مريم) صائحة فيها:

- انتي عبيطة ولا بتستعبطي..

التفت الناس لهم من صوتها، مدت(نورا) يدها تسحبها لمقعدها، لتقول (نورا) من وسط آلامها ناظرة لهن :

- إنتوا إزاي قاعدين بتتكلموا كده عن الخيانة..

وعلت صوتها وعينها تدمع :

- إحنا إزاي بقينا كده.. إزاي يا أصحابي بقينا قاعدين قاعدة واحدة بس كل واحدة في حتَّة غير التانية..

وأكملت تدقّ بيدها علي التربيزة :

- لأ وإيه.. بنتخانق بدل ما نسند بعض بنقطّع ونعاير في بعض..

ابتسمت (علا) وهي تأخذ نفساً من سيجارتها وتقول ناظرة للسماء مرة ثانية وتهز برأسها:

- سند ؟! دول أهلي أول ناس مش وقفين في ضهري.. فكُّكُّو من الجو ده.. ده السّند نفسه عايز سند عشان يتسند هو !!

زفرت (مريم) في ضيق تشاور ل(سما)تريد إخبارها أنها تذهب، (سما) شاردة تماما في إبتسامتها، تحاول تجميع شتّاتها، رأت أفكارها

مبعثرة من ثقل النقاش، أدركت أن (علا) لابد التعامل معها كالمُلحدين بحذر فمثلهم الكلام معهم في بعض الأحيان يزيدهم من إلحادهم،فلا تفهم ما الذي تقوله لإنسانه تبرّر الخيانة عن الطلاق، وتراها تتكلم بكل فخر، ما الذي أوصل بها لهذا ؟ وكم من يفكرون مثلها؟ وما هو الحل ؟ الخيانة.... أم الطلاق ؟!!! وكيف الناس إلي الآن لا يفهمون أن ليس كل متزوجة شريفة.. بل ليس كل مطلقة (سهلة)..!

أفاقت علي صوت (علا)تقول:

- من الآخر كده أنا قدام الناس واحدة متجوزة وده اللي يهمني..

وكأن كل الإختيارات إمَّا طلاق، أو خيانة.. ألا يوجد هناك أبواب جديدة يمكننا فتحها.. حاولتي بكل الطّرق تَغير مسار علاقة زواجك للأحسن ؟ لماذا نختار الأسهل والأقرب دائماً ؟(خيانة و طلاق).. حاولتي التجديد، التغير،السفر،انشا الله تعملي أكلة جديد، حاولتي تعَفري بجد لإستمرار علاقتكم بشكل صحّي، حاولتي بجد بالأفعال ولا حطيتي إيدك علي خدك واشتكيتي مرة واتنين واتخنقتي، وبعد كده قررتي (بالأسهل).. حاجات بسيطة ممكن تفرق أوي ف العلاقات.. بس إحنا بنستسهل.. !

جاء هذا الكلام في عقل (سما)، رن جرس الهاتف لينقذها من فوَران دمها، قامت تأخذ هاتفها وهي ترمقها بإستغراب، تتجه ناحية سور الكافية لتقف علي بحر هادئ، تراه أمامها ظلام الكون الذي تعشقه واستنشقت الهواء لتملأ جسدها حياه، وترد بهدوء مُتبادل من البحر:

- أيوة يا(ثائر)..

* * *

(٤)

فضحكا بصوت عال...
قاطع ضحكهما، صوت هاتفها المُلقى علي الأرض بعيداً عنهما...
لم يبدو عليها أي اهتمام، في حين بادر هو قائلاً:
- مش هتشوفي مين ولّا إيه...

هزّت رأسها نافيه وهي تشرب قهوتها، ثم قالت بهدوء شديد:
- الرقم....
هتف بفضول:
- لسه بيتصل بيكي...
ردّت:
- إنسان فاضي.. كل م أرد عليه يسكت وميردش...
وأكملت بهزه من رأسها وبسمة صافية :
- طب أنا فاضياله أنا بقي....
رمقته، وجدته ينظر في ساعته...
شعرت أنه يتسائل..
كيف عرفت أنه الرقم دون النّظر في الهاتف....
لم تستطع كتم ضحكتها وهي تجيبه علي تساؤلاته :
- أنا حاطّه للرقم نغمة خاصة..
رفع عينيه وهو يضحك....

* * *

- أيوة يا (ثائر)....
وأغمضت عينيها، داخلها معارك، تريد أن تشعر بأنَّه معها فقط ولو بصمته، تُركّز علي توحيد أفكارها، ما أصعب إحساس تدفُّق

الإشارات الكهربائية للأفكار دُفعة واحدة....

لم يتكلم،فهم من نبرة الصَّوت ارتباكها، سمع الموسيقي الهادئة من ورائها،فدَندَن بصوت هادئ مع الموسيقي ليَلفت انتباه عقلها للاسترخاء....

التفت عقلها بالفعل للموسيقي فتداخلت الأفكار مُتسارعة تدور حول بعضها كالإعصاروخرجت منها بارتعاش جُفونها..

سمع تنهيدتها، فابتسم وقال :

- أهلاً وسهلاً..

ردَّت بصَوت مُرتعش:

- أحلي حاجة إنك بتيجي في وقتك..

رأت خيال جانبها،فانتفضت ونظرت له بتوتر،رأت رجُل يقف علي يمينها بخطوات بسيطة، يستند إلى السور برأسه، يمدد يديه خارج السور يشبكهما ببعض،يرتدي جاكيت أسود ويُغطّي رأسه..

عقدت حاجبيها،تنحنح (ثائر)قائلاً:

- بتروحي فين.. حاسس إنك مش مظبوطه.. في ايه ياسما انتي فين و مين معاكي.

ردَّت بصوت بعيد:

- أنا قعدة مع صحابي.. انت خلصت شغل ؟

جاوب عليها:

- لسه شوية.. !

هزت رأسها كأنه يراها لا يهاتفها وأغلقت معه وهي ما زالت تنظر للرّجُل، دققت به لم ترَ إلا سواد في سواد ولا يتحرك،ظنت أنه تحت تأثير المخدرات من عدم شعوره بأي شيئ حوله، لا تعلم أن هناك أحزان تملأ شرايين الجسد أكمله.. وأقوي من المخدر..

فكَّرت هل كان موجودا عند مَجيئها وهي لم تره.. أم جاء بعدها.. لا تدري..!

التفتت لأصدقاءها، رأت الصورة كاملة من بعيد، يجتمعون علي الشيء المُستدير ذاته لكن كل منهنَّ في مكان مُنفصل، في الحقيقة هم متباعدون تماماً عن قربهم، أما الجميل هو اختيار القُرب مهما كان ابتعادهم..!

تقدمت خطوات ترجع لأصدقائها، هناك شيئ يجذبها نحوه، يريد أن يوصلها رسالة، قاومت إحساسها وخرجت من إطار جاذبيته واندفعت للترابيزة، جلست مكانها، تقول:

- ايه يابنات هتروَّحو ولا تعملو ايه..

حاولت (سما)عدم التركيز معه ولكن نظرها يخدعُها، أطالت النظر به وهنَّ يقمنَ للذهاب..

دخلت البيت لم تجد أحد من عائلتها، رَمت (سما)المفاتيح علي الكنبه وجلست في الصَّالة قليلاً ما تجلس خارج غرفتها،ما زالت تشعر بمحيطه يحتويها، جاء في بالها أن تذهب له، تردَّدَت، تقوم وتجلس.. من هذا الشخص ؟! أخذت مفاتيحها ونزلت من البيت تتجه نحو الكافية تتطاير الأسئلة من رأسها حتي وصلت المكان، تميل برأسها للأمام قبل أن تدخل لترى أمَا زال هُناك.. أم لا..

وجدته علي نفس وقفته، صوَّبت نظرها عليه وهي تقترب منه،كلما خَطَت للأمام ترى الصورة علي جانبيها ترجع بها، حتي وقفت بجانبه مثل وقفتها الأولي، لم تلبث لتسمعه يقول :

- جيتي تاني ؟

بعدت عنه خطوتين لليسار تشعر بقلق ما،لا تلقي رد علي سؤاله،لا تعرف هي لماذا جاءت ؟! فظلا صامتين لفترة طويلة كلٌّ علي وضعه،ناظرة للبحر،فقال الرجل:

- ليه ركزتي عليَّا وإنتي قُدَّامك وسع البحر والسَّما والكون كلُّه وكنتي بتكلمي أكتر حد فاهمك..

سبتي كل ده وركزتي معايا أنا.. لييييه؟!

وسكت لحظات وأكمل:

- ومشيتي ورجعتي تاني.. ليه برضه؟

اتَّسعت عيناها،حاولت تبحث عن إجابة،عَبثَت بوجهها من إحراجه لها،استدارت بجسدها كي تمشي،فقال بصوت لا تعرف له معني :

- انتي حاسَّة إنك شبهي !!

التفتت له (سما)تميل برأسها عليه لتضع فَمها عند أذنيه قائلة بقليل من العصبية :

- انت عايز أيه ؟

ردَّ عليها بهدوء:

- انتي اللي جيتي.. أنا مجتش جانبك.. كلُّكم ليه شايفني إن أنا اللي عايز.. مع إنكو انتو اللي بتيجو جنبي وتسيبو كل حاجة حلوة في حياتكو وتركزو معايا.. والله أنا اللي نفسي أبعد عنكو... بس ده قانون !!

شعرت بحيرة لا تُحبُّ الألغاز، زفرت وهي ترجع مكانها ناظرة للبحر مرة ثانية، وسألته مُترقّبة ردُّه:

- انت مين ؟!

= (الحزن.. الخوف.. اليأس)

وهز رأسه وهي ما زالت مغطاة علي السور، وأكمل:

- كل ده خيال زي الشخصيات في عقل كاتب.. !

بس دُول في عقل كل فاشل.. !

ردَّت (سما) بضيق:

- أنا مش فاهمة حاجة...

أكمل كلامه :

- بس ده قانون.. أي حد بيفكر في حاجة وبيؤمن بيها بتحصلوا..

وقال بصوت يريد البكاء :

- الحزن والخوف موجودين عشان يدفعوها للتغير وقت ما يلزم الأمر لكده.. بس من كتر التفكير فيا بشكل يومي وتلقائي في حياتكو جسدتوني بشكل أكبر من اللازم لدرجة الإعاقة للحياة ذاتها

ورفع رأسه قليلاً وظهره ما زال منحني،انقبض قلبها وارتجف بصرها ساندة علي السور في وضع استعداد للهروب، تحاول النَّظر إليه،الهواء اشتدَّ فلا تراه جيداً، وفتح يديه ناحية البحر قائلاً بصوت عميق:

- كل الوَسع والجمال ده وبتدوروا وتركزوا علي فتحات سوده في أي حاجة عشان تشوفوا منها الدنيا كلها..

والتفت لها فجاءة وقد اشتد الهواء أكثر، ركزت علي وجهه من بين غطاؤه لا تراه إلا سواد لا يوجد ملامح، فزع قلبها رجعت خطوات كبيرة للوراء....

عندما تدخل في صراع بين عقلك والواقع.. لا تخف.. إنها تصفية حساب بين الماضي وما هو مُنتظرك.. فنقّي روحك هذه اللحظات.. واستمع لهواجسك جيداً ففيها رسالة لباقي عمرك.. وإن كان لابُدّ من الخوف.. فخاف أن تخرج من هذه الحالة بدون فهمك للرسالة...!!!

التفّ لها بظهر منحني من كثرة الحمول وأشار علي قدميها وقال بطريقة تفصيلية :

- قانون الجاذبية الأرضية بيلزم وجودك علي الأرض...

وأكمل وهو يشير إلي رأسها ثم أشار للفضاء أمامه :

- قانون الكون بيقول أي حاجة بتفكري فيها ليها تردُّد معيَّن بترسليه للعالم.. والعالم بيرُد عليكي بصور لحياتك زي ما تخيَّلتيها بالظبط في أفكارك....

حدَّقت به تحاول فهمه،لم تفهم شيئ، رأت صورته تبتعد عنها تدريجياً كصور متقطّعة تقفل وتفتح تراه أبعد،ظلت علي حالها بلا حركة بعينين جامدتان، شعرت بطرقات ماء تضرب جسدها وشعرها، أحست بمن فكَّت قيوده الآن.. الحُرّية.. الحُرّية لا تكمُن في الأفعال فقط.. ولكن هي حرية الأفكار والمشاعر.. أن تطلق سراح عقلك ومشاعرك إلي الكون كله.. وهذا يتعدَّي حدود الفعل.. !

رفعت رأسها للسماء التي تؤكد كلامه بخيرها.. شعرت بالماء علي وجهها.. واستنشقت هواء ملأ كيانها.. وهَوَت علي الأرض بركبتيها نسيت أنها في كافية لا تشعر بأي شيئ إلَّا أنها في فراغ تام وحدها في مكان ما واسع، فارتعش جسدها، وسمعت صوت غير ملائم تماماً:

- لو سمحت يا فندم.. حضرتك قاعدة علي الأرض..

أومأت برأسها أنها سوف تقوم، لا تريد الكلام الآن، نهضت ومشت لبيتها ببطء وكأنها تحلق لا تمشي..

وصلت البيت، ودخلت الغُرفة وهي تقرر بدء (رحلة التغير الثانية)!

الفرق بين الرّحلة الأولي والثانية :

- الأولي إجبار.. أمَّا الثانية اختيار.. فمنَّا من يكمل حياته علي نتائج الصدمات الأولي منها(وهذا حال معظمنا)...

ومنَّا من يُفكّر ويقرر كيف يغيّر حياته ويبدأ بالفعل في مغامرة لتشكيل حياته كما يريد هو.. وليس كما تُشكّله التجارب علي مَزاجها..

* * *

(٥)

كادَت الغرفة و(سما) والظلام أن يصبحوا كياناً واحداً من كثرة مُكوثها في تلك الغرفة طوال اليوم.. لم تخرج منها إلّا للضرورة وفترة الشغل فقط.. وترجع راكضة لها كأنها تهرب من الدنيا كلها وتَختبئ فيها.. تعتزل كل ما حولها، سكَنَت غرفتها لدرجة مخيفة.. سكَنَت جسدها الذي غاب عنه الحياة لفترة طويلة

(في فرق واضح بين عُزلتها، وبين حبسة «مريم»)

ليس لأنها خائفة من المجتمع لتلك الكلمة....

لا.....

بل تريد أن تعرف مدي سطحية هؤلاء الناس الذين يتكلمون كلاماً لا يعرفون أساساً من أين يأتون به، أُملَي عليهم فقط....

ولا شيئ سوي القراءة تقوم بهذه المهمة علي أكمل وجه....

ظلت تقرأ، حتي أصبحت مدركة الحياة تماماً....

بدأت تنظر لكل ما حولها بنظرة استهانة....

لا تعرف حينها.. هل تشكر طليقها علي ما فعلَه بها....

لو ما مرّت بما حدَث معه، كانت ستظل تحلم بنفس الحلم الذي أدركت الآن أنه ليس حلمها من الأساس....

- الفرق بين الحلم والواقع

الحلم ينبع من أعماق ذاتك.. يزحف إلي عقلك في خانة الخيال.. شيئ يخصّك وحدك.. يرتقي بك إلي عالَم الواقع إذا حققته... لا يُفرض عليك....

أما الواقع بالنسبة لي :

هو معاملة الأسرة لفتاتهم لكي يُجبرونها علي الزواج بطريقة

غير مباشرة....

لكي يلومُونك علي سوء الاختيار إذا طُلقتي....

هذا هو الواقع.....

يختارون لكي عريساً.... يَضغطون عليك نفسياً....

يلومُونك إذا طُلقتي....

ما اااا أسخف الواااقع.....

دعونا نحلم بهذا الحلم الذي سنعيش فيه عُمرنا كله.. لكي نستطيع أن نجعله يرتقي بنا إلي عالَم الواقع...

عشقت وحدتها.. لا تنسي أبدا ذاك الرجل الذي قابلته وكلامه أيرونك ضعيفة.. ! دعيهم سيرون يوما نجاحك...

قضت سنة كاملة، تقرأ وتبحث عن كل شيئ...

ترى كل من حولها يسير علي نهج أباه.. وما فائدة العقول إذاً !..

وما الأهل والأجداد إلا سبب وجودنا في الحياة.. ولكن علينا التخلي عن كل أفكارهم.. دعوا العقول تعمل علي فطرتها الخلقية للتفكير والتحليل ومعرفة ما نحتاج في حياتنا و نسعى لتحقيقه ولا تجعلوا أي فكر قديم يدخل عقولكم.. فقط اسمعوا لنتائج تحليلكم للأمور..

لا بُدّ من ثورة فكرية.. لابد من إزالة الطّبقة المجتمعية من علي ظهورنا.. فقد اكتفينا منكم.. فكم من روح ولدت وماتت ولا تعرف أسرار قوة عقلها.. فقط أصبحت عقولهم مخزن للخُرافات.. ! والأدهَي من ذلك أنهم مقتنعون أنهم يفهمون كل شيئ ويتكلمون بلهجة خبير!.. هذا هو الفشل بعينه !.. الخوف من التجربة لمجرد رؤية الناس لهم، فيبدؤن بالتحليل داخل عقولهم ولا يملكون شجاعة الفعل، فيهرونا بتَعَابير وجه حكيمة ولهجه خبير بدون أي أفعال...!

أحب الأفعال، حتي النصائح تأخذ شكل التجارب.. أحب

المُغامرة.. أُفضّل أن أري أمامي مُغامراً ولا أن أجلس مع رجل ينصحني يُسمَّي (حكيماً).. أُحب التعابير الجسدية.. لا اللفظية !.. أعشق الركض والتحليق بعنادي فوق كل موقف يعيقني عن هدفي تحت مسمي (الظروف).. !

أنا من أصنع حياتي.. يلزمني الشجاعة والقوة في قراراتي.. ويلزمني الكبرياء في تجاهلي للناس.. أحتاج الكذب في بعض الأحيان علي نفسي لتشجيعها علي ما أريده.. أحتاج الصرامة لمحاسبة نفسي علي تأخرها في إنجاز ما كان مطلوب....!

أنا مدينة بالكامل.. اكتفيت بنفسي ولا ينقصني شيئ.. تعلّمت الاكتفاء الذاتي في وحدتي فاطمئن قلبي.. ويكفَي أن عدم انتظار شيئ من أحد راحة بال!

أنا أخوض حربا من أخطر أنواعها.. الحرب مع الذات ...

أنت حُر لدرجة مُريبة.. فلا تدع أي شخص أو أي فكر يُحجّم انطلاقك.. لعلهم يجهلون ما تقدرون!

امضوا في حياتكم صمٌ بكمٌ عمي.... لا تردّوا علي أحد.. دعوهم يتكلمون و اعملوا ما ترغبون....

جالسة (سما) علي مقعد خشبي في الشرفة،تحب أن تشعر ببرودة الجو تداعب جسدها، تحب ارتعاشها من لذة انتعاش روحها، ترتدي قميص حرير طويل أسود اللون ليظهر لون جسدها الخمري الذي يوجد به لامعة كمن رأه قطعة من الذهب، يعرض ساقيها بشكل خرافي من الجمال ويحوّط آخره ليزيدها إثارة بما يسمي «خلخال» تحب أن ترتديه دوماً.. ومَن مَن يُحب الرقص لا يُحب ارتداؤه؟! فهو رمز للارتقاء بالنسبة لها، شعرها المتدلي علي جانب رأسها يفترش كتفيها وتغطي المقدمة نصف وجهها الأيسر الذي يداعبه الهواء وهي تغمض عينها تبتسم وتتمايل بجسدها، فليس بالضرورة وجود موسيقي

لتمايلها.. فمن يريد السعادة يخلقها داخله أولاً فيشعر بها ولو لم تكن شيئاً ملموساً بالفعل، تمايلت لصفاء ذهنها بما ينشده من أمنيات فتقع عليها كَوَقع المَعازف لنشوة الأحلام..

ومن يمتلكون منازل في أواخر الأدوار يعرفون معني سراح العقل للتفكير المطلَق للحرية، أن تنظر للسماء مباشرة دون تشويش سكان الأرض عليك فأنتي بعيدة كل البُعد عنهم.. أنتي فوقهم بأدوار عديدة فمهما نظروا لها من موضعهم هذا لن يَرو رُبع جمالها.. فقط يلزمهم بلوغ القمّة ليروها مثلك، فلا تلومهم علي عدم اقتناعهم بما ترين من جمال الدنيا.. !

وأن تَختلي بنفسك وأن تشعري بأن مملكة السماء بأكملها وامتدادها ملكك وحدك وأنك أنت الوحيد الآن وعلي الأقل في محيط ما تراه من حولك مَن تتأملها بصمت وتهمس بصوتك لها لترد عليك بنسمات هوائها تطمئنك وتنظر لك بعين نجومها كما أنتي تنظري لها تماماً، تشعرين بعُمق سوادها لتُرسل هي لروحك إلهامات مختلفة لاكتشاف جزء غامض فيك كان يُخفي الإفصاح عن ذاته فتخلّي عن كبرياءه أمام فخامة السماء وخضع لتشكيله.. ما أجمل السماء أُحبها لدرجة أني لا أكفُّ عن النظر عنها، وأنّها مقصدي حتي وأنا أسير وسط زحام الأرض لا أراهم إلا خيالات، فأنا مُحلّقة في سمائي طيلة الوقت فأتخيلها في عقلي حتي أنفرد بها وحدي، كان الجو بالفعل شتاء قارص، السماء تتقطعها كرات من الثلج تتسحب وتسير ببطء علي صفحة السماء كمن تُداوي جرح ما بخجل..

تأملت (سما) جمال السماء، تراه السماء في كل مرة تعطيها رسالة ودرس غير الذي قبله فهي لم تُبد علي حالها أبداً.. !

تتقلب من النهار لليل والليل للنهار من قمة الوضوح والشفافية لقمة الغموض تراها صافية تارة وتارة أخري غاضبة تُعلن صُراخها وتكشف عن أنيابها بخط من النور مُرعب والأغلب في النهاية تداعبك بقطرات من المطر لتخبرك أن بها خير، ولكنك تمنعه بأسلوبك.. !!!

بل وأيضاً في هذا الوقت كل طلباتك مُجابة، فأنت من الظّاهر لا تستطيع إلا إخراج الجزء السيئ منها، فتنقلب عليك برياح غاضبة تثير كل ما حولك من صغائر الأمور كالرمل تنشرها في الجو لتخنقك بها.. ونفس الرياح تكون في وقت آخر نسمات تداعب أجمل لحظات قربك الرومانسية.... كم تشبه الإنسان !

حقاً تشبهنا كثيراً بل بتطابق غريب ولكنها عزيزة.. لا أحد يستطيع الوصول إليها إلّا باختراعات أدوات وحجز أماكن وتذاكر وانتظار وخوف من الصعود لها مع الرهبة حتي في وضح نهارها وتأمينات علي من يريد الوصول إليها أن يصل لها بأمان واحتياطات أمن هائلة.. ويصعدون لها ثم يهبطون منها ولا تتأثر بفراق أحدهم، بل جميعهم.. تقف شامخة صامدة لا يرتجف لها رمش بل تستقبل أناس آخرون، وهذا هو الفرق الوحيد بيننا وبينها.نحن نُوقف حياتنا لأناس لا يستحقون وننهار عندما يهبطون وأحياناً لا نستقبل آخرون !!

ابتسمت (سما) عندما استشعرت هذا الفكر بوجدانها من تفاهة الناس، تراه نفسها أشبه بالسماء، وحيدة جدا بالرغم من كثرة مَن يتأملوها من بعد!، تراه في نفسها أقصيَ أبعاد الغموض وفي نفس الوقت واضحة وصريحة كالشمس في وسط السماء، لا تتأثر أبدا بمن يتركوها، وبفخر تقول أنهم من يتركوها.. فهل يُعقل للسماء أن تترك مسافريها وترحل عنهم !، بل هم من يهبطون منها !

لا يوجد هناك شخص حتي الآن يقدر قيمة هذا الصمود،

فقط يرونها لا تسمح بأن تكون زوجة، وكيف بمثلها تُصبح زوجة لرجال عقولهم أشبه بطبقات الأرض الصّلبة، فهناك فروق لا يمكن واستحالة تقاربهم.. !

رجعت رأسها للخلف لتسندها إلى الحائط وسمعت صوت مفاجئ علي أذنيها لم تسمعه منذ فترة يأتي من خارج الغرفة، توترت ملامحها قليلاً ثم أراحت عضلات وجهها بابتسامة صغيرة فبقدر صغر الابتسامة إلا إنها تحرك ١٤ عضلة بالوجه وتُرخي كل أعضاء الجسد !..

لاحظت فتح الباب بعد طرقات خفيفة لتدخل صاحبة الصّوت المزعج علي قلبها، لم تلتفت (سما)ليخترق سكونها من لا تعرف الاستكانة أبداً:

- شكلها نايمه الدنيا ضلمه أوي..

أضاءت النور من لا تعرف إلا ظلمة القلب والعقول، لتراه الغرفة فارغة وباب الشرفة مفتوح والستارة ترفرف بقوة من شدة الهواء في دلالة علي الحياة التي لا تعرف قيود، والنفس التي لا تُعرّف نفسها من خلال حدود جسدها فالروح محلها الكون كله يصول ويجول في أنحاءه، فالجسد نقطة بداية انطلاق الروح فقط.... فعلمت أنها بداخل الشرفة..

دخلت بجسدها العريض الضخم وجلست علي السرير وهي تقول باستفزاز:

- مش هتيجي تسلمي علي مرات اخوكي ولا أيه ؟!

لم ترد، ولا كأنّ أحد تكلم أصلاً، ومن داخلها هكذا السلام النفسي الذي يبدو عليها، لتسمع صوت آخر نسيته من قلة سماعه فزادت ابتسامتها الجانبية ساخرة منهنّ وهي ما زالت ساندة رأسها للوراء..

- أمال فين سما؟!!!

= مفيش.. أختك قاعدة جوه ولا محترمة وجود حد..

قالتها صاحبة الجسد العريض وهي تشير للشرفة..

دخلت الفتاة الطويلة الشرفة لتراها مغمضة عيناها في تجاهل، فوقفت جانبها وهي تقول ناظرة لها :

- مالك يا بنتي.. أمك بتقول إنك بقالك أكتر من سنة بعيدة عن كل الناس يا دوب شغلك وبس.. ليه كده ؟!

اعتدلت (سما) بعد فترة من الصمت ونظرت في عين أختها التي توحي بالخوف والقلق عليها !..

كم ظلم اقترفتموه ثم تأتوا لترسموا علي وجوهكم مشاعر طيبة وكأنكم لم تفعلوا شيئ، لو أنكم بهذا القدر من المكر والخبث فأنا غيركم لا أتحملها ولا أستطيع التغاضي عنها وأمكُر مثلكم، فلذا أتجاهلكم ، ولو الصدفة جمعتني بكم سأرهقكم ببرودي كما أرهقتموني بظلم !

لا تجد (سما) ما تقوله لأختها، تحشرج الكلام بحلقها، وهما ناظرتان كل منهما بنظرة مختلفة تماماً للأخري، لا تظنون أن معني أننا تركناكم تفعلون ما نعلم به من مَكر، فإننا لا نستطيع مواجهتكم ولكن ما أخذتموه منّا يوماً سنري أثره عليكم فيما بعد خراباً.. وكفي به حقاً رجع لنا..!

فأشاحت (سما) بنظرها بعيداً عنها، ورفعت عينها للسماء وهي تتحسس شعرها المفترش كتفيها ، لتتفحصها أختها بملامح غريبة تتساءل كيف يبدو علي شكلها الإثارة والجمال بهذا القميص والخلخال والشعر المصفف جانباً، ثم لمَحت السلسلة الفضية التي ترتديها تزين عنقها بين فتحة القميص، لاحظت الجناحين المملوئين بالفصوص ويتوسطها خاتم زواج بسيط وبه فص واحد متجه للأعلى وتَمسك

السلسلة من آخر الجناحين في علامة أن الخاتم سيطير.. كيف كل هذا وهي ليست متزوجة بل مطلقة.. من أين تأتي بهذه السعادة ، ثم نظرت علي حالها.. وكيف أبدو أنا بملابس عادية ولا أملك ربع إثارتها ولا سعادتها وأنا متزوجة..

فقاطع حديثها الحقدي صوت من خلفهما :

- أهلا بالناس الحلوين..

فضحكت (سما) فور سماعها صوت صديقتها (علا) والتفتت لها بترحاب شديد، مما قد أغضب أختها بالمقارنة مع مقابلتها لها، من يمتلك قلباً طيباً للأسف لا يستطيع التحكم بملامح وجهه للتعبير عن شيئ بعينه.. هو فقط يعمل تلقائياً.. فعذراً لمن يريدون نفاقهم !

فانطلقت كمن أشعل في قلبها نار فتهرول لإطفاء غيظها، سلمت (علا) علي (سما) وهي ترمق أختها وهي تذهب، ووقف جانبها قائلة بصوت منخفض وتميل عليها :

- هو في ايه.. ومال مرات أخوكي قاعدة كده ليه ؟!

لمعت عين (سما)، قائلة بطريقة من انتصر:

- سبيهم هما متغاظين مني.. المهم انتي أبوكي طلع من المستشفي ولا لسه ؟

= لسّه.. عادي بقي مش فارقة..

قالتها (علا) بلامبالاة..

ثم قالت وهي تشيح بيدها في علامة أن ليس مهماً

- بتسأليني علي أساس إن فارق معايا يخر...

همست (سما) ل(علا) وهي تشير لها أن تسكت :

- شششش..

وانفصلوا تماما بالكلام عن المشهد الذي ورائهم، ومن كلامهم علي (سما)..!

وأكملت بابتسامة مرهقة :

- مفيش اكتر من إنك تشوفي أمك واخواتك بيتفقوا عليكي وياخدوا ورثك ويخططوا ويبيعوا أراضي ويقسموها علي بعض وإنتي ولا كأنك تعرفي حاجة وكل ده عشان أيه.. عشان فاكرينك عايشه مبسوطه مع جوزك اللي باين قدام الناس إنه مرتاح مادياً! وهو أصلاً أبخل من البخل، وإن أختك جوزها علي أد حاله وأخوكي راجل طبعاً..!

تراجعت (علا)قليلاً لتغلق الشرفة من أن أحد يسمع كلامها، وهي تكمل :

- بس في الآخر أيه.. م هو أنا اطلقت أهو وبعدين ربنا مش محدد الورث الغني من الفقير.. أنا اتظلمت.. واتظلمت كمان لما وعيت علي الدنيا ملقتش أب يحضني ويحتويني عشان كده اخترت أول راجل إتقدملي ولأني مفتقدة أي إحساس بالأبوة بالرغم من وجوده وكان عايش !

اليتم ليس بموت الأب.. كثيرا منهم يعيشون ولا نشعر بوجودهم بل أحياناً يعيقون طريقنا.. !

وسكتت قليلا لفوران عقلها بالأحداث، وأخرت (علا) هاتفها، فمالت سما للأمام وهي تضحك بألم في قلبها ورفعت جسدها وهي تسمع موسيقي من هاتف صديقتها،

Stranded, reaching out

وحيدة ,طلبت مساعدة..

تعلم (علا) أثر تلك الموسيقي علي روحها.. فأراحتها، وتعلم جسد صديقتها الذي لا يتحمل أي موسيقي ويضعف بالتراقص، فرفعت جسدها بتراقص حزين مُتقطع علي لحن الموسيقي ليظهر القميص الحرير الواسع مخابئ جسدها..

I need ya , I need ya
I need you right now

أنا أحتاجك، أنا أحتاجك
أنا أحتاجك الآن

نفذت الموسيقي داخلها، إلي كل ركن به حزن أثقلها. فشعرت برجليها تخف من علي الأرض فهبت واقفة. يتراقصان هي وصديقتها في الشرفة الواسعة لا يراهم أحد، في مشهد عجيب إختلا ببعضهما كل من تختار الحرية بطريقة مختلفة !. واجتمعو في هذا الوقت علي السعادة والوحدة وظلام الكون حولهما والسماء الناظرة لهم هي الشريكة الوحيدة فالمشهد..

تركوا كل الخلافات العائلية ورائهم.. ورائهم بخطوات بسيطة جداً يفصلهم فقط الباب.. وكفّا النظر للأسفل، كفّا بمراقبة الناس من فوق أو إعتبار وجودهم من الأساس ونظرا للسماء، و رفعا يدهما للأعلي ورقصا وهما يغنون مع الموسيقي بصوت عالي....

I think I am losing mind now
It is in my head, darling I hope
That you ll be here, when I need you the most

أنا أعتقد إني أخسر عقلي الآن..
إنه في رأسي، حبيبي أمل..
أن تكون هنا.. عندما أريد أكثر..

* * *

(٦)

الساعة ١٠ صباحاً...

جالسة علي مكتبها....

نظرت للباب لترى أمها تدخل عليها بطريقة أمهاتنا التي نعرف حينها ماذا يُريدون منا....

أشارت (سما) لأمها في علامة أنها تفهمها....

سألتها الأم في محاولة أن تكون هادئة :

- وصلتي لفين... خلصتي حسابات المحل ولا لسه..

ترد (سما) وهي تقلّب في الدفتر الذي كان أمامها،في حين الأم تجلس علي السرير:

- خلصت آه.. ناقص بس تشطيبات الافتتاح وخلاص..

بكت الأم فجاءه....

لماذا يرون أن الفتاة ليس من حقها أن تفعل أي شيئ غير الزواج....

رفعت عينيها لأمها في ذهول لتقول :

- بتعيطي ليه...

كنتي هتبقي مبسوطه لو كنت متجوزه وكل يوم بنام معيطه.. ولا هتبقي مبسوطه لو كل شويه بضرب واتهان..

دخل عليهم شاب طويل،وكأنه كان يسمع حديثهما من الخارج، نظرت له واتّسعت عيناها من المفاجأة لم تره منذ فتره طويلة، قال لها :

- يعني مش هتوافقي بالعريس..

ردّت (سما)بدون تفكير:

- مش هوافق بحد ومش هعيش عيشة أنا مش عايزاها....

ثم أكملت بصرامه وهي تنظر لعينيه نظرة حادّة :

- الراجل طول ما هو عارف إن الست ملهاش مصدر رزق غيره.. ولا بيت غير بيتُه.. بيذلّها ويكسرها عشان عارف إن ملهاش حتّة تُروحها ولا حد هيصرف عليها وعلي عيالها..

وأكملت :

- عشان كده مش هرضى بأي عريس غير لمّا افتح المحل ويبقي عندي شغلي....

جلس الشاب علي الكَنبة أمامهما، وقال بأسلوب آمروهو يُشير لنفسه :

- أنا أخوكي وعايز مصلحتك.. عايز أسترك....

ضحكت فَور سماعها كلامه، ونظرت له نظرة جانبية ساخرة،تذكرت أنه لم يسأل عليها منذُ أشهر.. لا يعرف عنها شيئ.. لم يرفع سماعة هاتفه ليطمئنّ عليها ولو لمرّة..

ثم ردّت عليه رد مقتضب بوجه جامد:

- أنا اعرف أستّر نفسي كويس...

في دعوة أن ليس من شأنك..

بعد ساعه من هذا الحدث....

سمعت صوت بُكائها يخرج من الهاتف...

صاحَت (سما)بقلق ل(نورا) في الهاتف:

- في إيه بتعيطي كده ليه..

لم تفهم شيئاً منها إلا أنها في بيت أمها..

أغلقت الهاتف وركضت مسرعة إليها.. توقّعت ما ستسمعه منها عندما تراها، دخلت سلّمت علي أمها، ثم دخلت غرفة(نورا)، لم ترشيئاً غير الظلام، لفّت الدنيا بها...

العقل الباطن كائن لا يعرف التميز.. لا يعرف الحقيقة من الخيال.. يفتح لك كل الملفات في وقت واحد لمجرد تشابه بسيط لنفس الموقف..

للحظة كانت ستنهار، تذكرت غرفتها، تذكرت ظلمتها..

شعرت أن هذا الموقف تكرّر معها قبل ذلك مع تبديل الأدوار بينهما..

حاولت أن تُنفض ذكرياتها وهي تدخل عليها، لم تَلبث لتسمع صوت بُكائها العالي يهزّ قلبها..

دخلت تتجه ناحية (نورا)، عندما رأت خيالها قامت احتضنتها.. هنيئاً لمن يجدون الاحتواء أوقات وجعهم..

احتضنتها (سما) بدون أي كلام، كل تفصيله تُذكرها بما مضي ثم جلسا معا، قالت (سما) لتُخرس عقلها :

- ممكن تهدي وتحكيلي إيه اللي حصل..

شَهقت كالأطفال.. ثم ردّت (نورا) وسط بكائها بطريقة غير مفهومة :

- تعبت.. مشاكل مشاكل.. ومفيش تقدير وخيانة وقرف وكل ده ومستحملة وفي الآخر يضربني ويهدلني وكان عايز يطلقني..

وقف سمع (سما) علي آخر كلمة، توقّعت بالفعل كل الكلام الذي قالته إلّا الكلمة الأخيرة..

(نورا) يتمنّاها معظم الرجال، تفعل أي شيئ حرصاً لأن لا يُطلق عليها لقب مطلقة، دائما تفكر في المجتمع..

قالت لها(سما)مُطمئنة :

- متزعلّيش نفسك هو هيجي يصالحك.. ومش هيسيبك... هو بس بيهددك مش أكتر..

لم تجد كلام لتقوله لها، تعلم أن عقلها يريد أن تفتح له ذاك الباب

ربَتت علي كتفها وسكتا لحظات، شعرت أن من واجبها كصَديقة إخراجها من البكاء والحزن..

فوقفت ببطء تتجه نحو التلفاز لتضيئه وفتحت علي القنوات الشعبية.... دوّت الغرفة بالأغاني الراقصة..

ومدّت (سما) يدها لتسحبها قائلة :

- قومي يلا وفكّيها.. عشان نزل نكمل شرا الحاجات للافتتاح...

تعوّدت (سما) في وحدتها التّحليق فوق أي حزن بالرقص، هنيئاً لمن يجدون لأنفُسهم طُرق للسعادة دون انتظار لمن يسعدهم..

ثم خرجتا من الغرفة لتقابلا نظرات أمها وأخوها الحائرة، وقفا أمامهما،(ونورا)تقول وهي تشير علي الشاب :

- ده أخوية (أمير).. رجل أعمال بسيط كده علي أدّه..

والتفتت لأخوها قائلة مُشيرة ل(سما) :

- دي صحبتي وأختي..

نظر لها الشاب بطريقة غريبة يتسائل كيف تلك الفتاة جعلت أخته بهذا الفرح.. كيف بدّلَت حالها.. كم هي جميلة...!!

وانصرفتا لتجهزان للافتتاح....

مساء هذا اليوم..

قال بصوت فرح :

- مبروك أديكي حققتي أول حلم ليكي..

لم يلقي رد....

فأكمل ليقطع صمتها :

- تعبنا أوي النهارده.. لفّينا كتير.. ربنا يكملها بكرة والافتتاح يعجبك....

شعر أنها تبكي، فصمت ليجعلها تلتقط أنفاسها....

قالت فجاءه، ما كان ينتظره منذ مكالمتها الأولي له بعد طلاقها:

- شوفت انت لمّا تهد بيت.. وترجع تبنيه تاني ولوحدك..

وأكملت بهدوء لم يبشّر بالخير:

- أنا هدّيت كل حاجة جوّايا.. هدّيت كل كلمة (المفروض) إتقالتلي وأنا صغيرة.. وبنيت مكانها كل حلم حلمت بيه زمان واندّفن مع الوقت..

وانفجرت صارخة :

- عارف يعني إيه واحدة تتجوز وتتطلق في أقل من سنه.. عارف كام حلم إتهد فوق دماغها وشالت شيله أتقل منها.. عارف كام مرة انضّربت واتهانت وكل ما ترجع لبيت أهلها يقولولها معلش يا بنتي استحملي متخربيش بيتك....

وأكملت دون أن تعرف ما زال هناك يوجد علي الخط أم لا، في حين هو ظل صامتاً يسمعها باهتمام:

- الراجل يوم ما بيقع بيلاقي خمستلاف إيد بتسنده وخمستلاف إيد تانين بيقوّموا....

وصرخت ثانية وقد اهتزّ صوتها من البكاء:

- الست بقي لمّا بتقع مَبتلقيش غير خمستلاف رجل بدّوس عليها...

علَا صوته وهتف غاضباً، ليُلقّيها درس لم يلقها من قبل:

- بقولك إيه.... مش عايز أسمعك بتتكلمي تاني في اللي فات.. إقفلي السيرة دي خالص..

وعلَا صوته أكثر كي يُفيقها :

- انتي بتستهبلي.. بكرة افتتاح محلّك ولسه قُدامك خطط كتير عايزة تحققيها..

وأكمل بعصبية:

- ست إيه وراجل إيه.. أقسم بالله لو العالم كلّه ساند راجل هو أصلاً مش عايز يقوم مش هيقوم..

لا تلوموا علي من رأى القاع، عندما لا يصدق أن هناك قمة حتي وإن بلغها !

- يوم الافتتاح....

أفاقت اليوم التالي علي صوت (نورا)...

- انتي لسّه نايمة..

قالتها (نورا) بابتسامة :

لترد (سما):

- صباح الورد.. صباح التفاؤل....

لتضحك(نورا)،وتهتف بفرح :

- ايوا بقي....

وتُكمل :

- يلّا قومي ظبّطي نفسك.. وأنا هجيلك علي الافتتاح أنا و(أمير).. واتصلي بمريم شوفي إيه نظامها وأنا هكلم علا..

أغلقت الهاتف معها،واتصلت ب(مريم)....

- إيه يا(مريم) جاية النهاردة ؟

ردّت عليها (مريم) بصوت منخفض لكي لا يسمعها أحد:

- مش عارفة بس شكل جوزى مش هيرضا..

أغلقت معها الهاتف وعلي وجهها علامات استفهام؟

لماذا حبست نفسها (مريم) لتتزوج مرة أخري، ومن رجل

مُتزوج،ولم ترتاح أيضاً معه....
لم تعُد تعبأ بأمرهن علي الإطلاق....

هناك سيدات يعشقن هذه الحياة، ويشتكوا منها ويقولون حظّنا سيئ، لكن في حقيقة الأمر أنهم هم من يختارون هذه الحياة، ولو رجع الزمن بهم سيختارونها مرة أخري،هذه هي الحقيقة التي يهربن منها بالشّكوى....

- وقفت أمام المحل....

وقفت أمام المحل وعلي وجهها ابتسامة،تتأمل المحل بعينيها الواسعة كَلَوحة فنّية،وَجهة المحل اللّبني اللّون التي تَعشقه كَلون البحر والسماء، إتّسعت ابتسامتها أكثر عندما وقع نظرها علي الاسم..... روليتا.....

الاسم المُلون بنفس اللون اللبني التي يُظللها من خلفها باللون الروز..

الاسم التي طالما كانت تحلم أن تُسميه لابنتها..

نظرت لتلك الأضواء اللبني والأبيض داخل المحل..

عندما تغمض عينيك وتحلم بحلم ما.. وتفتح عينيك في يوم وتلقاه مجسّد أمامك ستفهم شعورها الآن....

نظرت جانبها..

وجدته بكتفيها ينظر لها بفرح مُبتسم، فزادت ابتسامتها إشراقاً، في نفس اللحظة سمعوا أغنية من الدّي جي..

أنا سرهاااا....

أنا أبقي نقطة ضعفهاااا....

أنا الحاجه اللي مخبياها عن الناس كلهاااا....

لمست الكلمات أرواحهم، سرت قشعريرة بجسدها مع إبتسامتها التي لا تُفارقها، سأقولها ألف مرة...

ونعمة الصداقة....

وأنا اللي من كتر خوفها علي حكايتنا بتخاف تحكيها لحد..

أنا أول حب في حياتها.. أنا المشاعر.. أنا الحقيقة اللي مش بتقولها لحد..

تداخلت أرواحهم داخل الأغنية.. لا يشعرون بمن حولهم، ناظران للحلم الذي حلمت به والذي ساندها فيه....

ما أجمل تلك العلاقة....

هُناك علاقات لا تفهم ماذا تريد هي منك.. لست أنت منها!!

مُجتمعنا لا يعرف مثل تلك العلاقات، ولا يَعترف بها وإن وجدَت....

أنا سرهاااا..

أنا أبقي نقطة ضعفهاااا...

أنا الحاجة اللي مخبياها عن الناس كلهاااا...

لمحت عربَة تركن جانب الطريق، ثم وجدت (نورا) و(علا) تنزلان منها تتجهان ناحيتها مع شاب ذو ملامح رُجوليّة وسيمة، يرتدي بدلة فخمة ويتّجهان نحوها..

وقفوا أمامها وصاحت (نورا) بصوتها ليسمعانها من صوت الدّي جي وهي تُشير علي (سما):

- دي (سما) اللي كانت عندنا إمبارح..

نظر لها ذاك الشاب، وابتسم ابتسامة ودود وهز رأسه بمعني (تشرفنا)، وبعينيه بريق من تلك الفتاة....

وأشارت علي الشاب ناظرة ل(سما) وقالت ساخرة:

- رجُل الأعمال بتاعنا دايماً محسّسنا إنه مش فاضي هو اللي أخرني معلش..

ضحك الجميع،في حين هو نظر لها لائما،وقضوا وقتا ممتعاً..

و كآخر جميع مناسباتنا نخلّدها بصورة ، فوقفوا أمام وجهة المحل والتقطوا صورة للذكري، و احتفالاً بهذا اليوم..

١، ٢، ٣.. تجمد الوقت والمكان في إطار مستطيل يجمع بكل التفاصيل الذي نرغب في الإفصاح عنها فقط.. كم هي حيلة ذكية !

نُحوّط الحقائق المرغوب فيها متجاهلين تماماً العالم الخفي ورائه، لذا فلا أقتنع بالصور، فوراء كل صورة تفاصيل وكواليس لو عُرفَت لأفسدت جمالها.. !

بعد الافتتاح..

التفتت لهم (سما) قائلة بطريقة طفولية تَتصنّعها :

- يلّا بقي.. عزماكوا بالمناسبة دي..

جلَسوا في الكافية علي آخر الشارع للمحل..

لم تجد (سما) كلام لتشكر به أصدقائها لمساندتها، فقالت برقة، وهي تنقل بنظرها بين (ثائر) و (نورا) و (علا)متجاهلة (أمير)، وهو ينظر لها بشرود،هذه الفتاة جمعت بين الرقة والمسؤولية وحبّها واستمتاعها بالحياة؟! :

- مش عارفة أقولكوا أيه.. بس إنتوا سندي.. ربنا يخليكوا في حياتي.. ويقدّرني وأكمل بقية أحلامي وإنتوا جنبي..

قرر (أمير) أخيراً أن يتكلم،ويقدم نفسه بطريقة رجولية واثقة، فأمسك بطرف بدلته وقال :

- أنا صاحب محلّات للأجهزة الكهربائية.. وليّا معارف كتير في كل المجالات....

وأكمل بجمله مُقتضبة ليكسب فضولها :

- لو حضرتك إحتجتي أي حاجة.. أنا معاكي في أي وقت..

وأخرج من جيبه كارت ليعطيه لها....

اهتز هاتفها نظرت له نظرة سريعة، وهي تمدّ يَدها لتأخذ الكارت، توترت ملامحها وجدت نفس الرقم، ثم رفعت نظرها رأت (مريم) تأتي من بعيد إليهم..

لتقول (علا) بنبرة مضحكة :

- أهي الكئيبة وصلت..

يوجد صديقتان دائماً فوق رؤس بعض

فوقفا (ثائر) و(أمير) سلما عليهن وذهبا ليتركهن لراحتهن..

وصلت (مريم) مُهرولة،يظهر علي شكلها أنها جاءت مُسرعة دون ترتيب نفسها وجلست، في حين (نورا) تبدَّلت ملامحها تماماً كمن انفرد بحاله فأظهر همومه، فقالت (علا) بصوت عالي وهي تصفق بيديها :

- لأ.. بقولكوا أيه بلاش نكد إنهاردة.. كفاية حرام عليكوا..

لترد(سما)وهي تضع الكارت داخل الشنطه :

- أده نكد ليه ؟!.. ده حتي كل واحدة عملت اللي كان نفسها فيه..!

ورفعت رأسها ونظرت لهن ،ثم ثبتت نظرها أمامها علي (مريم) قائلة، وهي ترفع يدها الإثنتين للوراء في أن ليس من شأنها :

- إتجوزتي تاني أهو.. زعلانة ليه بقي.. ؟!

صمت تاااام....!!

ثم نظرت علي يمينها ل(نورا) التي بَدَت عليها السمنة من الحمل والرضاعة.... والإهمال.. !! وقالت بهدوء :

- وإنتي متخافيش هيرجع وهيصالحك.. بس كل يومين تلاتة هتبقي في نفس المشاكل..

وأكملت مسرعة من أن أحد يقاطعها وهي تلوح بيدها :

- وإوعي تقولي إن كل بيت في مشاكل فعادي بقي.. لأمش

عادي.. كل البيوت فيها مشاكل عشان كله ماشي في النفس الطريق.. وكله بيقول علي كله ما هو كل بيت في مشاكل !!!

ثم التفتت علي الشمال ل (علا) بنظرة لم تفهمها، وكادت أن تتكلم لتقاطعها (علا) بابتسامة،وتضع يدها أمامها بطريقة وهميّة تدافع عن نفسها :

- وانا ايه هتقولي عليا أيه..

فابتسمت (سما) ابتسامه لو لم تكن (علا)صديقتها لحسبتها اشمئزاز، وهي تقول :

- هقولك خليكي في نظر الناس مطلقة.. قبل ما تكوني في نظرهم خاينة.. !

وأكملت :

- وبعدها هتاخدي لقب مطلقة برضه !

فرمقت (مريم) إثنان يمشيان جانبهم يشبكان يدهما ببعض ويظهر علي وجوهم شيئ من الفرح ويرتديان ملابس جميلة، فأشارت عليهما ووجهت كلامها ل(سما) في غضب :

- شايفة اللحظة دي.. بتهون بعدها كل حاجة إنك تمشي مع جوزك ماسكة إيده..

وضعت فجاءة (نورا) يدها علي يد(مريم) وقالت بهدوء مؤلم :

- بيكون لسه ضاربها في البيت قبل ما ينزلوا.. حصلت معايا كتير وبنتزل بعدها وبيبقي شكلنا كده عادي !!

ضحكت (علا) و(سما) بصوت عال ثم رجعت (سما) بظهرها للخلف تمسك هاتفها تتصفح وتنفتح أخيراً علي العالم بنجاحها فيما كانت تريده، ووضعت صورة لها تجمعها بأصدقائها و(ثائر)و(أمير) وتوضع عليها..

تشعر بالسعادة مع ذاك الوجه الضاحك..

* * *

(٧)

في مكان ما....

زينة وأنوار وأغاني تزين شقة ما..

وقف بطوله الفارع ينظر لطرقة بيته صامتاً، يراه زينة وأناس فرحين بمولوده الجديد، يراهم ولا يعرف أهو في حقيقة.. أم ماذا ؟!!!

كم حلم بناه في هذا البيت معها، كم ركن كان يَحيا بروحها.. !

يراه أناس كثيرين ولكنه يراها هي مكانهم تأتي وتذهب وتجري وتجلس وتقوم وتضحك، يراه خيالات الناس بها هي فقط كلهم هي من بعيد....!! أصيب بأمراض الهلاوس السمعيه والبصريه من يوم فراقها.. !

شعر بصدمة تضرب رأسه، أغمض عينيه ليسمع أصواتهم علي أنه حلم، يأمل أن يفتح عينيه يلقاها أمامه.. بلا جدوي !

نزل من بيته جلس علي مقعد أسمنتي، ثم رفع رأسه لنافذة البيت، هناك أفراح تبدو هكذا.. ولكنها مآتم بالنسبة له !

يحاول تمالك أعصابه من البكاء حتي ظهرت عروق وجهه ،زهق من كثرة تحليله لما حصل وما أوصلهم لما فيه الآن.. !

هز رأسه في علامة أنه فهم وعرف ما هي الأسباب!... وحاول بعدها أن يرجع لها.. ولكنها رفضت !

هَوَي برأسه للأسفل في ندم، كم مرَّه وعد وأخلف.

وإن من الرجال إن خَلَفوا.. فلهم أعذارهم الخاصة.. !!!

من أين يأتي الآمان من رجل يخلف وعوده،فكل كلمة كانت تسمعها منه بعد ذلك تتهاون بها، وعندما عرف حقيقة حبه لها وحاول ردَّها عن صدق.. كذبته !

تذكر ذات يوم قالت له :

- أنا عايشه معاك عشان بحبك وبس.. محتاجة منك اهتمام مش أكتر.. محتاجة احس إن في راجل في حياتي.. وعمري ما هخاف من الطلاق.. أنا مستحملة كل ده عشان بحبك وبس..

دمعت عينه من وقع صدق كلامها علي قلبه وأنه خسرها،يا ليتها شعرت بوجودها في قلبي قبل وجودها في بيتي.... كان يظن أنه يحبها بالقدر الكافي في الزواج.. ولكنه أدرك عشقها في الفراق !

لأول مرة في حياته يبكي، تذكر ردَّه عليها بكل برود :

- أنا مشغول في الشغل عشان أكلنا وشُربنا.. وبعدين ما كل أصحابي كده وستاتهم بيستحملوا..

تفكيرهم محدود حقاً.. !

هي لا تطلب الكثير، طلبت فقط ولو دقيقة اطمئنان واحدة في وسط يومه،عانت الإهمال منه بشتَّي الطرق.. كرهت نفسها معه.. ذَبلت مشاعرها تجاهه في آخر فترة بينهم،وهو لا يدري، يعيش فقط بمبدأ اليوم بيومه (أكل وشرب)..!

تذكر صمتها علي كلامه حينذاك، فعلاً ليس من طبعها الصمت وعدم اللوم والعتاب، كيف لم ألاحظ وقتها التغير عليها.. !

عندما لا نلوم ولا نعاتب فهذا أكبر دليل علي عدم وفائكم لنا.. فهذا يعني أن الكلام أعيد مرارا وتكرار حتي شبعنا منه وأصبح كرامة الآن وليس عتاب !!

وليس من العدل أبداً أن نقارن علاقتنا بعلاقات أخري، فلكل تجربة عالَمها الخاص وأسرارها، وهناك تفاصيل خفيَّة لا تُراه العامَّة ولكن يشعرون بها ويتصرفون من خلالها ويأخذون عليها قرارات مصيرية.. فكيف نقارن بيننا وبينهم وهم من الأساس لا يعرفون خباياهم.. ! هذا للأسف حال الزواج.. ولا أقصد الحب !!

رفع رأسه ثانية بألم كادَ أن يخرج من بين ضلوعه، وهو يضع

يده علي صدره يريد أن يصرخ،ارتعش فمه وهو يغمض عينيه يترك دموعه.. نسي تماما تواجده في شارع..

نراه أناس لا نعلم ما بهم.. أحياناً نخاف منهم ولا نفهم أن الصراخ يدوي بأعضائهم فيرتجفون.. دعوهم هكذا.. إما أن تبتسموا لهم.. أو تتركوهم بسلام.. !

لا تعلمون كم موقف صُدم بهم.. كم ألم اعتصر قلوبهم..

ليس الأمراض فقط تقتل.. فهنالك آلاف الأوجاع تدمر حياتنا وتفزع منا ولا أحد يدري.. فقط يرون وجوه مُشوَّهه بالهموم.. وعينان لا تريدان أن تستيقظا يوما..!

أحس بأيدي تضع علي كتفه وأصوات ضحك تخترق سمعه، يلتفت ليري أصحابه فيقول أحدهم :

- أيه يا أبو آدم..

والآخر يقول :

- أبو العريس.. قاعد كده ليه..

ويري أمامه أناس كثيرين ينزلون من بيته وتتجه نحوه امرأة كبيرة في السن وتقول له وهي تطبطب عليه :

- يتربَّي في عزك ياضنايا.. ربنا عوَّضك خير أهو يا بني !

فتح فمه قليلاً في محاولة لتبريد جسده من الاشتعال.. !

أترونني هكذا سعيدا.. !، أما لو كنت حزيناً !! حقاً تحفظون ولا تفهمون.. لو تعلمون ما بداخلي.. لهربتم من واقعي.. !

يسمع ضحكات أصحابة كخيال من بعيد في عقله،هو يقوقع داخل نفسه الآن، ظاهرياً فقط يجلس معهم! سمع أحدهم يقول للآخر:

- يا بني هما كلهم كده.. كبَّر دماغك وقول حاضر واعمل بعد كده اللي انت عايزه.. !

ليرد عليه الآخر قائلا :

- منا بعمل كده.. بس الواحد زهق عايزين تجديد بقي العيشة بقيت مملة..

فوقف في برود وهو يقول دون النظر لهما :

- حافظوا عليهم.. مش هتعرفوا قيمتهم غير لما تسبوهم.. مش هتحسُّوا بالوجع غير لما تعيشوا في حياة المقارنة بين الأولي والتانيه..

وأكمل بعد ضحكة ساخرة قصيرة :

- ويا سلام بقي لو طلعت الأولي كانت نعمة في إيديك وانت استهونت بيها وقولت مش هتقدر تقف علي رجليها من غيري.. لا يقدروا..! ولَّا تقولوا ما هما الستات والبنات كتير.. هما كتير آه.. بس فيهن إستثناءات..! وفي الأغلب مش هتشوفوا ولا تصدقوا الإستثناءات دي إلا بعد الفراق..! تصبحوا علي خير..

نظرا لبعضهما البعض في عدم فهم لما قاله، في حين هو صعد لبيته ودخل غرفته ثم دخل البلكونه وهو مازال يسمع صراخ ابنه.... وأمه !

وقف في هدوء يسند راحته علي السور وهو يبتسم من غدر الزمن، كانت تقف جانبه في يوم من الأيام فالتفت وراءه يتخيلها معه تأتي من خلفه فابتسم أكثر، ثم أدخل يده في جيبه وأمسك بالهاتف ، بعد ما قرر أنه لن يراقبها ثانية علي أي موقع لها.. ولكنه إنهزم منها.. فتحه وتصفح به ليراه صوره لها الآن مع رجلين وفتاتان ،لا يستطيع الرؤية بوضوح.. خذلته عيناه الباكية فور رؤيته لها وهي سعيدة بدونه، شعر بضغط الدم يصل لأذنيه ، فلا يسمع مُنادات زوجته له،شعر بلمسات عل ضهره فانتفض والتفت صارخا في وجهها :

- عاااايزة أيه....

ولم ينتظر ردها،اتجه راكضا نحو باب الشقة ونزل مهرولاً

وأسرع في مشيه تحت مطر هادئ يداعبه في طريقه.. يمشي عكس حياتي يرجع للوراء.. ! لاجدوي من مشيه أو حتي هرولته..!

مشي كثيراً ولا يُرهق حتي وصل لمقصده ووقف أمامه بمسافة قصيرة يتأمله، رفع نظره للأسم، تذكّر فرحة وجهها وهي تقول له :

- نفسي أسمي بنتنا روليتا....

أبتسم لخياله.. ثم لاحظ اللون اللبني الذي يشبهها مسيطر علي الوجهة

يدل علي السلام والصفاء الروحي لقلبها والجمال الَّا نهائي لها ،اتسعت ابتسامته، يشعر أنه يقف أمام قطعه من روحها ، يكفي أنه ذوقها، كانت تقف هنا منذ ساعات قليلة،يشعر بنَفَسها..

مسك هاتفه مرة أخري وأخرج الصورة تأملها ،لفت إنتباهه فتاة بشعر قصير أحمر ورجل ببدلة سوداء فخمة ينظر لها نظرة إخترقت قلبه.. اتسعت عيناه ليراها تضحك سعيدة ، تحجر وجهه، إشتدَّ المطر ولا يشعر ببرودة فقد أثلج قلبه، فَقدَ أعصابه وهوي بركبته علي الأرض وحني ظهره ورأسه في وسع وفضي من حوله رهيب، يسمع صوت المطر بقوة.. وصمت !.. يحاول للمرة الألف أن يوهم نفسه أن هذه آخر مرة سيُفكّر فيها.. وأن المطر يغسل عقله وروحه.. !

لم يلبث لحظة.. ورفع رأسه فجاءة لينظر علي باب المحل ليلقاه مغلق الباب الزجاجي فقط.. فرح قلبه ورقص علم أنها ستأتي هنا ثانية..

فأخذ نفسه في راحة وأخرج من جيبه علبة سجائره ببرود تام ,, يعلم جيدا بمجرد رؤيتها له سيخفق قلبها حباً لي !،أخذ ينفس سيجارته باستمتاع وبأنفاس عميقة.. !

وشغل أغنية عشقها لعشقها لها..

Stranded ,reaching out

* * *

(٨)

- في الكافيه....

تصفحت (سما) مواقعها بكل فرح ونظرت في ساعتها وجدتها ١١ مساء فالتفتت لهم قائلة :

- الساعة ١١.. مش عايزين تروحوا ولا أية ؟!

لا ينطقن.. تثقلهم الهموم.. من عاش ليرضي المجتمع لن يرضي هو.. ! ولا هم.. !

فقامت (سما) بخفة الريشة،الإنسان الذي يسمع ويتجه نحو رغباته هو وما يريده ويحققه رغم أنف الكارهين، يصبح محلّق هكذا!!

وقفت بعدها (مريم) تعدل ملابسها المهرولة،و(نورا) ببدانتها،و(علا) ترفع خصلتها الحمراء وهي تقوم بملابسها الضيقة.. !

ذهبن للسيارة في صمت، ركبت (نورا) في كرسي السائق وجانبها (سما) وخلفها (مريم) وجانبها (علا)..

وقفت العربة في مكان بعيد عن المحل لتواجد برك كثيرة من المطر هناك !

نزلت (سما) لتغلق بابها،مشت بارتعاش جسدها من البرودة،تدقق بنظرها في الطريق من الظلمة ،شعرت وهي تسير أن المشهد بالكامل معاد من قبل،وقبل اقترابها من المحل سمعت أغاني بصدي صوت الفراغ..

وما زالت لغة الصمت تتحدث وتملأ الفراغ في العربة، نظرت (مريم) في ساعتها وهي لا ترغب في معرفة الوقت،وتحاول (نورا) ضبط ملابسها وهي ما زالت لم تقتنع أن الخطأ ليس بالمظهر الخارجي بعد!،في

حين أن (علا) صامتة لا تتحرك،تضع يدها علي خدها ناظرة من النافذة.. تنتظر..!!

لا يجدون كلاماً في وقت لم تصلح الكلمات من معني، يعرفن جيداً ما طبيعة الحوار الذي سيدور إذا تحدثن، فاكتفين من سماع ما كانوا يظنون يوماً أنه لن يحدث !

كلٌ الآن يحصد ثمار اختياراته .

هذا الهدوء لا يبشر بالخير.. فقد اقتربت النهاية.. النهايات الذي نظل نهرب منها نخاف لقياها هي بالأساس الدليل الوحيد الذي يرشدنا إن كان هذا الطريق صحيح أم لا.. صفقة مرهقة حقاً.. وما فائدة إخبارنا بأن الطريق كان خاطئ في أواخره إلا الندم والحسرة.. ويا ليت !

شهور وسنين مضت من عمرنا بلا رجعة لنكتشف أننا سلكنا طريقاً مخالفاً لما كنا نريد، فما بال من كان يعلم أنه خاطئ منذ أولي لحظات قراره ولكنه أكمل فقط لأنه رأي الطريق ممتلأ...! ولا يكتفي بهذه الطريقة من التفكير.. بل ظنوا إن من كثرة ارتياد الطريق أن من وقع في أواخره فليلقي كثيرين جانبه.. لن يعرفوا أن من أوقعوه في أوائله، لن يسموا عليه أواخره !

فتحت (علا) باب السيارة ونزلت لتقف في جو مظلم، شعروا الآن من كلام (سما) منذ قليل أنهم علي الحافّة، سقطو في قاع الوحل، لا يتجرؤن أن ينظروا خلفهم فيصطدموا بما فعلوا بأنفسهم، ولا يستطيعون أيضاً النظر أمامهم من الظلام..

ضحكت (علا) بصوت عالي يردد الصدي صوتها.. فتضحك أكثر، شعرت بالمطر يداعب جسدها وهي ساندة علي العربة بظهرها تتمايل من الضحك حتي بَكت، فصرخت بأعلي صوتها..

هناك وجع في القلب لا يتحمل السكوت أكثر من ذلك.. فنفجر.. شعرت بقلبها يتمزق وهي ما زالت تحيا، والمثير للضحك أنها ولا بد أن تُكمل بهذه العاهة في قلبها !

فالتفتت لهما وانحنت لتنظر من النافذة وهي تضرب بيديها ورجليها في العربة صارخة..

ثم سكتت فجاءة، وهما مازالا لا يعيرونها أي اهتمام،فاعتدلت وهما يسمعان صوت ضحكاتها متقطعة ساخرة، تتبعوها بنظرات وهي تلف وتدور حول العربة بطريقة متراقصة لا تستطيع التوازن بين حزنها وبين تعالي قدمها بالكعب المزيف.. !

I call your name but you're not around

I say your name but you're not around

وقفت (سما) مكانها.. إرتعبت من هناك.. بدءت تخطو خطوات بحذر وعيناها تدور بالمكان كله.. وصلت أمام المحل بفترات بعيدة، لترى إضاءة القمر تظهر جسد مُنحني أمام المحل مباشرة خفق قلبها بالفعل.. من الرعبة، مسحت مياه المطر من عاي وجهها لتوضيح الرؤية وتميل برأسها لتعرف من هو..!

I need ya.. I need ya

I need you right now

وقفت تائهة تستجمع الرؤية بالذاكرة بالواقع بالماضي.... فهمت!!

وتذكرت رؤيتها التي رأتها منذ فترة.. ها هي تحققت وعلمت من هو الرجل المنحني.. ! وما هي نتائج من دخلوا الأبواب الثلاث خلفها.. !

ابتسمت، واتسع المكان بها فجاءة.. شعرت أن المكان أصبح أكثر اتساعاً من أنها تركض ولا يلحقها.. تجمَّد عقلها بلا تفكير.. فمهما حدث يظل أول رجل في حياتنا له مكانه الخاص !

اشتد المطر أكثر.. ابتل جسديهما بالكامل.. وتراه أيضاً مازال يُدخن سيجارته.. أما زلت بارداً..!

رأته يرفع رأسه بشيء من السُكر العاطفي.. في نشوة لم يذُقها مع زوجته حتي الآن.. لمجرد وقوفه فقط في مكان حامَ فيه روحها.. فماذا لو علم بالفعل أنها وراءه!

ثم رأته يهتزّ بجسده قليلاً مع الأغنية في شعور بالنَّصر.. فهمت أنه يعلم ما ستشعر به عند رؤيته.. !فخفق قلبها في ضيق.. لن يتغير! يعمل المستحيل لرضاها وعندما ترضي يخلع ثيابه لتراه غروره !

So , don't let me, don't let me, don't let me down

Don't let me down

فتراقصت روحها.. بدأت تضرب بأرجلها بخفه بخلخالها علي الأرض المبتلة بتراقص عنيدة وهي تحرك شفتيها مع الأغنية

I think Im losing my mind now

Its in my head ,darling I hope

That you ll be here ,when I need you the most

وبالرغم من اشتداد المطر إلا أن (علا) أشعلت سيجارتها ببرود في كمية تناقضات لأفعالها وتحولات شعورها من لحظة لأخري.. إنها لحظات الانهيار.. حدث يرفعك ومواقف تتذكرها تهبدك علي الأرض.. كلمة تفرحك وآلاف من الجمل تدور برأسك تحزنك.. لا تدري بماذا عليك أن تشعر.. هي اضطرابات فقط.. فلا حرج علينا في مثل هذه الأوقات.. !

فرفعت (علا) أصابعها عالية في سبة للحياة، لترتعد السماء وترد عليها السبة لتسحق ما تبقي من طريقها من ندم.. !ففتحت السماء نوراً بسيطاً لتريها ما كانت تخفيه عنها مراعاة لشعورها.. ولكن لا هناك رحمة بعد الآن إذن !

فظهر برق للمح البصر لتراه (سما) أمامها من بعيد، بمسافة ليست بالقصيرة تراها تتراقص فرحة، فضيّقت عينها واندفعت للأمام قليلاً لتوضيح رؤيتها فانطفئ النور واشتدت البرودة علي جسدها أكثر عقاباً لها،فهمت بسبة أخري للحظ والقدر وهي تضحك باستخفاف، فأنزل بعقلها عقاباً آخر فذكرها بكل فرصة أتت لها يوماً لتغير مسار حياتها ولكنها رفضت،فظلت تتذكر أحداث كثيرة فأمسكت برأسها وصرخت ثانية....

أنتم أحرار منذ البداية ولكنكم لا تستطيعون أن تقولوا أنكم أخطئتم الاختيار فأيضاً كما تعودتم تختصرون بالطريق الأسهل وتتبادلون التهم بمن هم من الأساس مسخرون لخدمتكم وتدعيمكم في اتخاذ قرارتكم.. وليس هم من يختارون لكم.. ألا وهو القدر والنصيب والحظ.. !

حاولت أن تذهب ل (سما) فتقدمت للأمام.. المفترض أنه للأمام !.. فخطّت بكعبها الطويل جداً في الظلام.. الآن تحاولين الالتحاق بالطريق المظلم بأمان.. أما قلنا لك منذ البداية.. فلمَ تحاولين الوصول لها بالرغم من صعوبة الجو والظروف، تقدمت بكل اطمئنان.. علمت أن آخر هذا الطريق سعادة فمشيت نصف الطريق علي هذا الأساس..

ففتحت السماء نوراً آخر لتختبرها وتُريها مصاعب كثيرة لبلوغ هذه المكانة.. فرأت بركة كبيرة جداً ومن الواضح عليها أنها عميقة من مياه المطر.. فعبست بوجهها اندهاشاً.. فكيف وصلت (سما) إلي هناك فتلفتت حولها باستمرار السماء من إعطاء الضوء لها لتجعلها تتأكد بنفسها أن ليس هناك أي مجال للعبور حتي علي جانبي البركة لا يوجد مكان للوصول للضفة الأخري.. ومع ذلك ما زالت تراها

هناك،فضربت برجليها صفع الماء في غضب وهذا رداً واقعيا لمن يقول أنه حظ ونصيب !..فلا أحد يعلم وحتي أقرب الناس من أصدقائها عن كم المعاناة والمحاولات الفاشلة والغرق في ظلمة القاع والظروف التي بلغتهما (سما)..

تقف حائرة غاضبة لا تتحمل حتي تفكير ولو للحظات قليلة أو التخيل كيف عبرت.. أهي أخذتها سباحة أم طيران أم أنها غرقت و أحد نجاها أم قفزت عدة قفزات أم هي بنت جسراً لتعبر ولكن كيف بنته وهي وحدها بكل هذه المسافة !!!

لا يُعقل هذا.. كادت الجنون وهي تفكر فقط كيف وصلت لهذا المكان من النجاح والسعادة.. تفكير فقط.. فما بال من فعل هذا بالفعل.. وأنتم في النهاية تجلسون بكل أريحية للهروب فقط من جلد ذاتكم علي عدمها من الوصول لهذه المكانة تقولون : أصل ده حظ !!

فأدركت حينها وشعرت بكم الألم الذي كانت تُخفية (سما) عنهم.. كانت تعتزلهم وتعتزل كل من حولها لأنها كانت تستكفي من الوجع والألم والخيبات.. كانت تحارب بالفعل مع نفسها والظروف محاربة حقيقية وتُلخص كل هذا بابتسامات باردة توزّعها علي كل من كان يحيطها..

تحكي لمن ؟! ومعظم الناس يسلكون طريق أجدادهم، يحفظونه جيداً ويسيرون فيه دون تفكير.. فكيف تحكي لهم عن طريقاً آخر وهي تلقي صعوبة في شرح أسباب سلوكها من الأساس هذا الطريق.. فكيف يفهمون ما بداخله !!

فنادت عليها بصوت عالي (سمااا).. لا جدوي !

فاشتد المطر والبرد والرعد أكثر وأكثر،خلعت حذائها محاولة أن تجرّب وتضع رجليها علي أول البركة ولكنها غاصت مقدمة رجليها

فشهقت وانتفضت وهي ترجع للخلف في سرعة باستسلام مع أول تجربة لها..

ترونها مجرد النظر بركة بسيطة.. وهي أشبه بالمحيط !!

التفتت ورائها لكي ترجع مما أتت.. لتلقي فضاء.. لا يوجد أحد ولا عربة ولا أصدقاء.. إنها النهايات المختلفة للطرق المختلفة.. أنتم لا تجتمعون في مكان واحد فقط ترون بعضكم من بعيد..

نعم ! اجتمعتم من قبل وأنتم تسيرون.. لكن النهاية تأخذكم إلي مفترق الطرق.. كل الآن يحصد ثماره اختياراته.. اقتربت النهاية.. !

ورفعت (سما) يدها في استمتاع وكأنها لا تفرح بالافتتاح كهذه اللحظة.. تلك العنيدة !.

لتُعلمه أنها سعيده من دونه وأنه كان فترة في حياتها لتتعلم منها فقط من هم الرجال من عدمهم !

إذا كان العناد لا يسمح بالسعادة في مكان واسع.. فكيف يجمعهما في بيت واحد !

فخفض رأسه للأسفل ثانية للحظات قليلة ثم رفعها للقمر..!

يراه جماله.. يراه في وسط ظلمات الكون حوله يُضئ جزء من الأرض.. هكذا هي بالنسبة لحياته.. لا يستطيع لمسه ولا القرب منه.. ولكنها ستظل روحه تضيء.. !

I need you right now

ظل ناظرًا للقمر في اشتياق قربه.. وهي تتراقص خلفه فرحاً من بعده!

لا تستطيع كل علاقات الحب الزواج.. أو إكمالُه !

* * *

(٩)

رمقت ساعتها،رَجعت للخلف،الساعة السابعة مساءً..
نظرت إليه قائلة:
- الساعة سبعة.. يلّا عشان الحق الميعاد..
صمت لحظة تفكيروقال وهو يُشير لها :
- قومي يلّا بينا..
نزلا من الشالية في عجلة،وركبا العربة.. ظلا صامتين وهي تقود العربة وهو جالس جوارها،وكأنهما في عالَمين مختلفين، ما أصعب القرارات المصيرية تُرهقنا بالفعل لمن يحسب نتائجها فيما بعد، وبالأخص عندما تأتي بعد وجع.. أما من يأخذها علي تَظاهَرتُها الأولي حتماً سيفرح بها..
نظر لها نظرة سريعة ثم عادَ بنظره للطريق السريع،فابتسم ثم قال فجاءه:
- مالك..

لم تسمعه،نظرتها للطريق حادّه بلا أي شعور، الذاكرة تقوم بعملها علي أكمل وجه في هذه اللحظات، رغم محاولاتها عدم تذكر أي شيء، لكن مقاومتها أحياناً تفصل قليلاً فتتسحّب الذكريات لتعميها عن فرحتها بالقرار التي ستأخذه بعد قليل،تسمع أصوات داخل عقلها تقول
«يارتني كنت قبلت الشّخص ده من زمان من قبل ما اتجوز و أطّلق،كان يبقي أوّل فرحتي»...
دمَعت عيناها وقالت بصوت عال في عصبية،ترد علي عقلها :
- مَنَا لو مكنتش إتجوزت وإطلقت مكنتش هشتغل ولا هغيّر

طريقة تفكيري.. كنت برضو هفضل قاعدة زي بنات كتير مستنيه العريس..

وأكملت بصوت أشبه بالصّراخ:

- هو أصلاً حب الشّخصية اللي أنا طلعت بيها من طلاقي..

والتفت له تُشير علي عقلها وقالت باكية :

- انت فاهم أنا بتكلم في إيه... مفيش حاجه إسمها يارتني.. لكن في حاجه اسمهاا قرّرت..

قررت أطلق عشان مكنتش مبسوطة.. قررت أشتغل عشان حبّيت نفسي في الشغل..

وأكملت وهي تهمس بصوتها تميل عليه :

- قرّرت إن مَتكسرش..

أغمض عينيه من عصبيّتها،وأخذ نفسه ليهدأ وقال دون أن ينظر لها :

- إفصلي تفكير شوية..

فصمتت ولكنها لم تهدأ يشعر بها، يسمع بكاءها الصّامت، دمَعت عيناه فالتفَت لينظر من النافذة يَسرح بخياله في وَضع صديقته، لا يُريد أن يضعف أمامها فهي تحتاج في هذا الوقت لشخص يسندها، ثم التفت لها ثانيه وقال بنبرة لا تعبر عن شيئ :

- انتي عايزة إيه بالظّبط..

لا تفهم ما يقصد،ولا يَتمالَك نفسه من الغضب فهبّ صائحا فيها:

- هفضل لغاية إمتي أفكّرك وأقولك إنك عملتي كل حاجة انتي عايزاها..

وأكمل وهو يلوّح بيديه يميناً ويساراً :

- قولتي خايفه أتزفّت وأكبَر من غير ما استَمتع بحياتي.. وادّفن جوّا بيت مع راجل مش حاسه بوجوده أصلاً..

سمع همسها تردّ عليه :

- أه فعلاً إحساس إن العمر مَبيتعَدش بيخوفني أوي..

أكمل بعصبيته وكأنّه لم يسمعها :

- وإتزفّتي وعملتي كده وفي الآخر ربنا رزقك براجل مُحترم زي ما اتمنّتيه بالظبط.. راجل أدّ كلامه معاكي وبيُوفي بوعوده ليكي.. وكمان مش بيحيّرك في كلامه..

ثم أكمل بعد أن التقط أنفاسه :

- عايزة إيه تاني إيه الصعب في الاختيار.... جننتي أمي..

كادَت أن تبتسم من انفعاله، شعرت بالفعل أنها تزيد الموضوع عن حدّه،تَنحنَحت في ترقّب منّه ورمقته سريعاً... ثم نظرت للهاتف الذي وضعته علي وضع صامت لتلقَي اسم (نورا)،تذكرت مقابلتها بزوجها بعد أسبوع من افتتاح محلّها.....

أيوه يافندم إتفضل.. لاحظت أنها تعرف هذا الراجل.. لم تلبَث حتي هو قدّم نفسه:

- أنا محمود جوز(نورا)..

قالت بترحَاب :

- أهلاً وسهلاً.. إزيك..

وأشارت له علي المقعد :

- إتفضل....

جلس الرجل وهو يقول بوجه عابس:

- مش هاخد من وقتك كتير.. أنا جاي بس أقولك ومعلش إتأخرت مني.. إن كل شيئ قسمة ونصيب وإن ربنا يعوّضك بحد أحسن من طليقك و...

قاطعته :

- يا ريت يا أستاذ محمود تخش في الموضوع علي طول لأن

موضوع طلاقي ده مفروغ منه وانت كراجل مش هتفهم الكلام اللي ممكن أرد بيه علي الكلام اللي قولته.. لإنّكو ببساطة شايفين أي واحدة مطلقة مكسورة.... فالكلام فيه مالهوش لازمة....

زفر (محمود) بضيق، ثم قال لها ناظراً في شبه آمر:

- بصي حاولي تبعدي عن (نورا) لو بتحبيها بجد..

تنحنحت (سما) محاولة مسك لسانها عن ما خَطَر في عقلها من رد..

وردّت عليه بعد تفكير بأسلوب مَرِح :

- تمااااام.... حضرتك ذكرت لو بحبها..!!

وأكملت وهي تجلس علي مقعد أمامه:

- وعشان بحبها هقولك حكاية صغيرة.... مرة واحد إتجوز وعشان يحكم بيته ومراته كان بيحكموهم بالزعيق والأمر والنهي والضرب والخوف.. كلمته بتتسمع من أكبر حد لأصغر حد في البيت ووجوده ليه احترام وكان واخد وضع في نفسه أوي كده... وعمل اللي عايزه فعلاً البيت بقي ماشي علي دماغه وحَكَم بيته....

وأكملت وهي تَميل للأمام قليلاً بصوت هادئ:

- وجه في يوم جتلُه جلطَة.... متعرفش بقي من العصبية الّلي كان عملها في البيت ولا إيه.. بس هي جتلُه... ووقع.... قاعد فترة تعبان وبعد كده رَقَد في السرير...

توتر في جَلسته وهي تُكمل عاقدة حاجبيها :

- الكل نَفَر منّه.... عارف المشكله في إيه.. إن الأب كان مفكر إن مهما عمل في عياله ومراته هيفضلوا يحبوه حتي لو كان شديد عليهم كان مصدّق الكلام ده أوي.. دماغه مَكَنتش موصّلاه إن أهل بيته ممكن يكرهوه من معاملته.... بس الحقيقة بقي اللي عرفها بعد ما وقع.. إنهم كانو بيسمعوا كلامه مش احترام ولا حب.... كان خووووف.... وأول ما لقو فرصة قَلَبُو البيت كلّه...

اختار حياة ضعفك في قوتك !

وصمتت للحظات،ثم قالت :

- أحكُم بيتك بالحب والاحترام.. إتحاور وإتناقش معاهم مش عيب ولا حرام.... بالعكس انت كده بتقربهم منّك وبتقرّب منهم عشان متندمش بعد كده في لحظة ضعف ليك.... وقوة ليهم....

وأكملت وتدمع عينَها لسبب تعرفه :

- صاحب مراتك وبنتك خليك ساندهم بجد.. لو الدنيا كلها قَفّلت في وشهم يلاقوا ضهرك.. مش يهربوا منّك للدنيا كلها....

وقالت بنبرة لتنهي كلامها، في حين هو صُدم من كلامها وجرأتها :

- لو انت فعلاً عملت كده عمرك ما هتيجي تُطلب منّي إن أبعد عنها لإنك هتبقي واثق وعارف إنك ضهرها وإنك الحضن اللي بتستخبّي فيه بأمان من الدنيا كلها.. لكن تيجي تُطلب إن أبعد وانت أصلاً مش سندها انت كده بتلعَب نفس لعبة الأب الّلي حَكيتلَك عنّه.... بتقفل كل الأبواب في وشها عشان متلقيش غير بابك.. بس وهي مضطرّة....!

فقال لها:

- طب وهي عايشه معايا ليه لو أنا مش سندها؟!

ردت بسرعة بدون تفكير:

- عشان خايفة.. خايفة من الناس والمجتمع.. معندّهاش الجُرأة إنها تاخد الخطوة دي.. وعشان دايما بتفكر في بنتها إزاي هتتربي لو انفصلتوا.. اللي مش عارفة تستوعبه إن في أطفال بيتربو أحسن لو الأب والأم انفصلوا....

ممكن حضرتك تقولي أية فايدة إن طفل يشوف أبوه وأمه بيضربو بعض ! أو كل يوم بيتخانقوا ومفيش بينهم أي احترام إلّا إنّه هيطلع طفل مُشوّه نفسياً وإجتماعياً....

مسكت الهاتف وردّت علي (نورا):

- إيه ياصحبتي..

قالت (نورا) بصوت فرح :

- إيه ياصحبتي لسه مخلّصتيش مشوارك ؟

ردّت :

- لأ جايه في الطريق هروَّح أظبط وأنزل أقابل أخوكي.... انتي فين؟

أجابتها (نورا) :

- محمود بقاله فترة ربنا هَاديه عليّا فخَارجين مع بعض..

ابتسمت (سما) في راحه أنه غيّر معاملته لها، وسألتها:

- أيه أخبار علا دلوقتي؟!

ردت :

- بتصل بيها مبتردش.. عايزين نخلص مشاورينا دي ونروحلها..

هزت رأسها في خيبة وهي تغلق الخط،

ثم قال لها (ثائر) :

- بستغرب أوي من اللي بيروحو المحاكم يرفعوا علي بعض قضايا بعد ما كانوا عايشين مع بعض في بيت واحد..

ردت (سما) باستياء وهي تنظر للطريق :

- طيب ما عشان بيبقي في طرف واكل حق التاني.. فبيضطروا يلجئو للمحاكم..

ليبتسم ساخرا من كلامها وهو يرد :

- هاتيلي واحدة دخلت المحكمة وعرفت تاخد حاجة هي عايزاها.. كلها كدب وتلفيق ونصب.. وكل طرف بيقدّم مستندات ضد بعض.. ويضيّعوا سنين من عمرهم في تأجيلات المحاكم !

قالت(سما) متسائلة :

- يعني قصدك إن الراجل يطلق ويرمي عياله وميصرفش عليهم وكمان الست تتنازل عن كل حقوقها عشان بس.. ميدخلوش محاكم ؟!

زفر من عدم فهمها ورد عليها :

- أكيد مش قصدي كده.. وهما ليه ميتفقوش قبل الطلاق علي كل حاجة.. !

فاجأته بردها بكل سهولة:

- أنت مش عايش معانا ولا أيه !..إحنا للأسف معندناش ثقافة الاحترام عند الانفصال.. انفصال يعني فضايح ومشاكل ومحاكم!

ليقول(ثائر) بأكثر سهولة منها :

- هي أخلاقيات علي فكرة.. إن يكون في احترام أصلا في علاقتهم.. أو علي الأقل في شخصيتهم..

وسكتوا لفترة.

ثم قال ناظرا لها بفضول :

- واستفادت علا إيه بقي من المحاكم ؟!

قالت ما يؤكد كلامه :

- ولا حاجة.. كله عند في عند مش أكتر.. كانت فعلا داخلة المحكمة وهي عارفة وشافت قصادها حالات مستفادتش بحاجة..

التفتَ لها ببطء رافعاً حاجبه وهو يقول :

- دخلت عشان تذلو..!

رأي وجهها جامد يرتسم عليه ابتسامه من مكر النساء تحاول إخفائها، بماذا ترد عليه ! ليكمل بنفس نبرته:

- دخلت تذل أبو ابنها ! دخلت تكتب باقي اسم ابنها وفي نيتها إنها تحبسه !

وسكت...!

تجمدت عيناه أمامه علي الطريق السريع، كأنما تذكر شيئ ما وأكمل قائلا:

- مش متخيله انتي إحساس إن أقرب حد كان ليكي يحاول يحبسك.. أو يمنعك من إنك تشوفي ابنك.. !

التفتت له وجدته يمسح عيناه ويقول مغيرا الحديث :

- المهم.. موضوع علا وصل لإيه في الآخر....

= وصل إنها اطلقت بس بعد فضيحة طبعاً.. وطليقها أخد منها ابنها بعد مشاكل ومحاكم لرب السما....

قالتها (سما) بأسلوب لا مبالي وكأنها سئمَت من نصحها مراراً، فكانت لا تفاجئ بنهايتها كما هي لم تتفاجئ أيضاً!!

قال (ثائر) وهو ما زال شارداً في الطريق بصوت يأتي من ذكرياته:

- خدي بالك شكلياً إنها هي بس اللي الغلطانة.. لكن الحقيقة أعمق من كده بكتير.. نفس السبب اللي خلاها تخون هو نفس السبب اللي خلاه علاقتها في الجواز تستمر كل الفترة دي..

أو بالأدق إنها تنتهي بالطريقة دي!

حاولت (سما) فهم كلامه، ليكمل هو ويرسم علي وجهها بسمة جانبيه :

- إوعي تفتكري إن الراجل مش بيحس بالإختلاف إن مراته فيها حاجة غريبة وهي بتخونه.. هو مش عبيط.. هو عارف إن في حاجة متغيرة بس مش عارف هي أيه.. بيشك أحياناً إن التغير ده من الروتين بنهم والزهق في العلاقة.. أو بيكون مستني يعرف هو في أيه بالظبط.. بس الجو عموماً بنهم في البيت بيبقي مش طبيعي وده مبيكونش في يوم وليلة.. لا.. ده علي مدار سنين وتراكمات كتير للمشاكل....

وأخذ نفسه ليكمل:

- المهم في الآخر واللي عايز أوصلهولك إن الراجل زيها بالظبط مش مرتاح في علاقة الجواز دي ونفسه أصلا ياخد قرار الانفصال أكتر منها والله.. !

ردت عليه بتهكم :

- يا بني الراجل مفيش حاجة بتمنعه مفيش عين عليه عشان ميخدش قرارزي ده لو هو عايزه..

ليزيد من ابتسامته الجانية من بلاهتها، ويبدأ كلامه بهمهمه ضاحكة :

- يابنتي الراجل ممسوك من رقبته وفي ثانية ممكن يتخنق مادياً.. خلي راجل كده يجرؤ ويقعد مع مراته ويقولها بعد محاولات كتيرة لإصلاح علاقتهم وفشلوا إنهم ينفصلوا بهدوء.. هي حتي لو قالتله ماشي بعد موشح وولولة طبعا شوفي بقي وهي بتنتف ريشه من قايمه لمؤخر لنفقة مش عارفة أيه و و.. مبتسيبوش إالا وهو علي الحديدة وممكن تحبسو كمان

فبيريح دماغه ويستمر في العلاقة علي وضعها زي ماهي كده..

فتخيلي انتي بقي إتنين عايشين مع بعض عشان بس ظروف إنفصالهم مش هتعجب الناس من طرف و هتذل وتفلّس الطرف التاني....

فبيستمروا وكل واحد في وادي.. وإنتي تقفي تستغربي كده وتقوليي هو إزاي الراجل ده مش حاسس إن مراته بتخونو.. هو أصلا مش شايفها غير بس لما بيخبط فيها وهي معدية في الصالة بالأكل للعيال وهو نازل القهوة أو شغله التاني.... بيهربوا من بعض..

أو من الحقيقة.. !!

وزفر بقوة لما أفرغ من طاقة وهي تهز برأسها موافقة لما قاله، ليقول بتعجب:

- بس عشان إحنا إتعودنا دايماً نبص لكل الأمور من ناحية الست بس.. مأخدناش بالنا من الحقيقة دي.. !

* * *

(١٠)

تَعدّدت مقابلات (سما) و(أمير) كثيراً...
كانت تريد حقاً شخص ناجح في حياته.. لتعرف كيف تدير أمور مشروعها..

عندما تشُق طريقاً لا ترى أحد من محيطك يشُقّه من قبل.. فتحتاج إلي شخص يُرشدك إلي هذا العالَم....

أمّا بالنسبة له كان يري فيها طموحاً وسعادة بالغين.. يراها تتنقل في حياتها كفراشة لا أحد يَشعُر بها.. ناظرة لهدفها تعرف ماذا تُريد.. لا يري فيها من تفَاهة من في سنّها.. تمشي في الطريق العكسي السّريع لكل شيئ في المجتمع.. وبالرغم من وجود عقبات كثيرة تَجعلُها تَصطَدم بها وتقع..ولكن لا تتوقّف ولا تَقَع.. !!
بل تُسرّع من مَشيها حتي تَركُض بأقصى قوتها ليصطدموا هم بها !
من يأخذ مثل هذه الفتاة.. وينكد عليها كل يوم.. ويهملها في البيت ويمنعها من كل شيئ حبّها به من الأساس..
ثم يقول الجملة الشهيرة:
«أصلَها نكديّة»
حضرتك إمسك صورة لها قبل الزواج.. وصورة بعد الزواج منك (دا لو إتصورت أصلاً)...ستلاحظ الفرق..
فما الذي فعل بها هذا..
أو بالأدق،
من الذي فعل بها هذا...؟!

إذا أردت أن تتزوج مثل تلك الفراشة.. فهل لديك الجُرئة الكافية والرجولة الكاملة أن تُحافظ علي حبّها للحياة ولنفسها ؟!

أم تريد أن تقطف وردة كي تموت عطشاً،ولا تلفت أنظار من غيرك بجمالها؟!

إحذر...!

فإن أول من تَخنُقه بمنظرها المُتعطّش الذابل.. هو أنت...

اهتمّ بها وراعها ستتفتح أوراقها.. ستري فيها جمالاً لم تره من قبل.. أو لتبتعد عنها..فبمُجرد ابتعاد الفئران والحشرات الضارة عن الزهور الجميلة تنضج وتزدهر أكثر...!

قلتُ لك من البداية.. هل تمتلك الرجولة الكاملة..؟!

اجتمعوا في كافية..

ينظر لها تلك النظرة الرجاليّة اللّامعة،ليراها تمسك أوراقاً تدقق نظرها بهم....

فاجئَها بقوله بعد فترة صمت دام قبلها لساعات طويلة من الحسابات ليُعلّمها أصول التجارة:

- انتي مرتبطة؟

أكلَه الفضول الفترة الماضية.. تفاجأت من سؤاله المباشر،لم يَبدُ عليها أي تغير،سمعت السؤال وظل نظرها علي الورق:

- انت شايف إيه.. قاعدة طول اليوم في الشُغل..

وأكملت :

- أكيد انت ليك نظرة تعرف بيها من غير ما تسأل..

ابتسم من ردّها،علم أنّه لن يَخلَص إذا حاور فتاة مثقّفة وعنيدة..

مال للأمام ببدلته السوداء الفخمة كعادته، يَحني رأسه في محاولة أن يراه عينيها ويقول بابتسامة رجل أعمال،واثق من نفسه :

- نَظرتي إنك إتجرحتي جرح هو اللي خلّاكي في السعادة والنجاح

اللي انتي فيه دلوقتي....

إتّسعت عيناها،ليرجع يَعتَدل علي مقعده وهو يكمل:

- بس نظرتي لسه مَجَبتش الجرح ده من ارتباط ولا خطوبة ولا جوازة ولا إيه بالظبط..

توترت كثيراً ولاحظ توترها،فقال بجدية مغيراً الحديث ليهدئ من روعها :

- أنا عندي ٣٠ سنة.. رجل أعمال صغير..

وأكمل بعد ضحكة قصيره :

- بس أنا بقي متجرحتش.. أنا بدوّر علي نصي التاني.... وإحنا صغيرين كنّا بنسمع دايماً كلمة نصك التاني للمتجوزين.. بس عمرنا مشوفناهم بيكملوا بعض.. بالعكس دول بيهدّوا في بعض....ولا شفناهم أنصاص أصلاً....

كنا بنشوف كل واحد منهم بيحاول يسيطر علي التاني.. الراجل شايف إنه كامل والست دايماً ناقصه وإن أخرها في حياته هو تربية العيال والبيت والأكل وبس.. والست طول الوقت بتحاول تطلع برّه القالب ده...

وأخذ نفسه ليكمل :

- المشكلة بقي مش في كده خالص.. المشكلة في نفسيّة كل طرف وهو بيعمل كده.. عشان كده فقدت الأمل إني الاقي نصّي التاني وأنا أصلا مش محتاج نص..

وأكمل بصوت أهدا :

- أنا محتاج إنسانه طبيعية.. إنسانه كاملة نشارك بعض حياتنا.. نعيش من غير حرب السيطرة اللي اتربينا عليه ده.. لو إتعاملنا علي إننا الإتنين زي بعض لينا أهداف في الحياه بنسعي وراها من غير بقي ما نحدد ونحط شروط علي بعض.. وأكيد كل واحد عارف وفاهم دوره إيه من غير نبرة الأمر اللي بتتقال دي....فاهمة قصدي إيه..

اندهشت أنها سمعت هذا الكلام من رجل..

ارتاحت قليلاً،ورفعت عينيها ببطء ليشيح بنظره بعيداً عنها بهدوء،هو لم يُجرح من قبل.. ولكن فُقدان أمَلُه في أن يجد إنسانه تفهم معناه كلامه من دون استغلال طيبته علي أنه ليس برجل....تألمه كثيراً....

للأسف تربينا أن الرجل هو الآمر الناهي ف البيت.. وأن من يشارك زوجته في حياته ليس برجل....!

قالت لتجاوبه علي سؤاله :

- أنا مُطلقة

فتحت له قلبها بعد ما أدركت أنه يعاني مثلها بمرض من الأمراض الاجتماعية....

نظر لها سريعاً باستيعاب رافعا حاجباه في فضول أن يعرف أكثر..

لتكمل بصوت تحاول إخفاء ارتجافه :

- إتجوزت وإطلقت في أقل من سنة.. حصلّي اللي ممكن يحصل لأي واحدة في عشر سنين قدام في سنة واحدة..

وأكملت :

- ده ممكن يكون أكبر وجع لأي واحدة عايشه هنا..

وأشارت بأصبعها للأسفل علي اللا شئ تدل علي المجتمع..

ثم توترت ثانية،لربط عقلها بين ما قاله منذ قليل وما حدث معها.. وقالت بتوتر وهي تُومئ برأسها مؤكدة لكلامه :

- إحساس الحرب الدَّايمه تعبتني.. مقدرتش أكمل.. كان نفسي في علاقة بسيطة..

وسرحت قليلا وقالت بشرود :

- وجعوا دماغنا في التلفزيون والأفلام والكتب عن والجواز

والطلاق.. بس عمرهم ما هيعرفوا يوصلوا لمشاعرنا واحنا بنتعامل مع بعض.. كله هري وكلام معاد علي الفاضي وخلا ص..

فسألها فجاءة :

- يعني الحب بالنسبة لك أيه ومقارنته بالجواز.. مش قادر أفهم دماغك برضه ؟!

ردت بقليل من الغضب:

- يعني أيه السؤال ده.. وانت متخيل الإجابة أيه غير أنهم هما الإتنين حاجة واحدة ده طبعاً للناس الطبيعين.. يعني أيه إتنين يعيشوا مع بعض في بيت واحد من غير حب وبشرط أن ده اختيارهم لبعض يعني مش مجبرين إنهم يختاروا الشخص ده بالذات !

سألها مرة أخري في سرعة، كأنه يريد إخراج ما بداخلها بدون تفكير منها لما تقوله :

- يعني انتي عايزه شكل العلاقة تبقي عاملة إزاي ؟!

بالفعل ردت كما يريد :

- علاقة الروح بالجسد.. علاقة من غير تكليف.. يعني واحد كده متكسفتش معاه وانا بحكيلوا عن خناقتي أنا وأمي الصبح مثلاً علي تلاتة جنية فضة.. عن حد أحكيلو كل تفاصيلي الصغيرة من غير إحراج ويبقي هو مبسوط وهو سامعني.. عن حد في لحظة جنون اقولو يلا بينا نعمل حاجة مختلفة وجديدة حتي لو تلاتة الصبح يقولي يلا بينا ونقوم نتجنن ونعمل حاجة ولو بسيطة ننزل نخرج مثلاً علي الكورنيش أو لو نطاق أوسع يلا بينا نسافر لو أجازة تاني يوم.. أو حتي نعمل أي حاجة جنونيه في البيت.. أي حاجة مش متعودين عليها.. بس يبقي في بنا الروح دي..

وأكملت بنفس لهجتها السريعة، وهو يسمعها بإهتمام شديد :

- مش حد يقولي بطلي هبل.. اه مانتي فاضية طول اليوم ! ليكي

حق تقولي كده وطبعاً هيكر بقيت الشريط اللي انت عارفه.. !

بس علي فكرة نفسي أقولو إن ده جزء من حياتنا.. إن كان لازم نعمل الحاجات المختلفة دي عشان نستمر في العلاقة بشكل صحي ! يعني ولا هو هبل ولا فضي.. وحتي لو هو هبل وجنون أنا من حقي كحبيبتك ومراتك إن اتجنن معاك.. واطلع الطفلة اللي جوايا معاك!

وسكتت ثوان لالتقاط أنفاسها، وأكملت ولأول مرة دون أن تخجل منه، وهو أيضاً شعر بإرتياحها له هذه المرة وتتحدث معه دون رسميات :

- لكن إزاي هيقولوا علينا نكدين وهما بيفرحونا !.. لا لازم يحبسونا ويهملوا فينا عشان يعرفوا يخونوا ويطلعوا كمان أعذار خيانتهم وإهمالهم بأسباب هي أصلاً رد فعل علي معاملتهم ! وينسوا الفعل اللي لو كانوا عملوا لكانوا أسعد الناس، وهي مبتطلبش الجنان والخروج والحاجات اللي انت شايفها هبلة دي عشان هي عايزة كده وبس.. لأ.. هي شايفاك طول الأيام تعبان وقرفان في الشغل وهي كمان مشغولة في البيت،فهي إحتاجت تخفيف الضغوط عليك عشان راحتك وتشوفك مبسوط بتضحك بجد.. مش طول اليوم شايلين الهم إنتو الأتنين في الشغل والفلوس والبيت وفي الآخر تتفاجؤا بمشاكل كتير وفجوات ملهاش حل بينكوا.. أهي الحاجات الصغيرة دي بتلحق كل المشاكل من بدايتها...!

أخذت نفساً عميق وشعرت أنها تحدثت كثير ً في حين هو قائلاً بصوت حنون علي مشاعرها:

- بس علي حسب الشخصية.. يعني في واحدة غيرك بتخاف أصلاً من التجديد والتغير.. فدى إشطا بتريح..

ابتسمت من كلامه، وهو أكمل بابتسامة تزين ملامحه الوسيمة :

- بهزر والله.. كلامك صح جداً..

وأكمل بعد لحظة،وهي تستمتع بنشاطها :

- انتي جميلة أوي.. وقوية بالرغم من اللي حصلك..

إحمرت وجنتها وتنحنحت وقالت بارتباك لتغير مجري الحديث :

- أما بالنسبة بقي للمشاركة بنا.. فمش ذنبي إن الناس جهلة مش قادرة تفرق بين الراجل اللي بيشارك مراته في حياته واللي بتمشي كلمته عليه..

واجتمعت عينها بعينه فضحكا وهي تضع يدها علي فمها، ثم وقع نظره علي عنقها بعدما أزاحت شعرها ليراه رمز فسر له كل ما قلته في ثوان.. (خاتم زواج وجناحين) !

نعم.. هي فتاة تحب العلاقات البسيطة التي تشعرها بالتحليق فوق كل شئ.. لا تحب الروتين والعادات.. فتاة كسرت كل القيود ورقصت علي حطام ما تبقي حتي حلقت وأصبحت لا تستطيع رؤية ما حولها من جهل وتخلف المجتمع.. فتاة لا تريد علاقة تهوي بها وتثقلها.. بل تطيير.. ! فقط كما تخيلتها !!!

* * *

(١١)

تقود العربة بسرعة جداً تعبر عن حالتها،وهي تبتسم.. لتسمع صوته:

- أقسم بالله انتي مجنونه يا بنتي إرسيلك علي حال.. كم مرّة النهاردة تعيطي وتضحكي في نفس الوقت.. أو تعيطي ومفيش خمس دقايق تضحكي..

ضحكت وهي ناظرة للطريق وقالت:

- معلش أصل افتكرت في أول جوازي لمّا حصلت المشاكل.. أهلي وكل الناس اللي حواليّا كانوا بيحولوا يقنعوني إن أول سنة من الجوازبس هي اللي فيها مشاكل كتير.. بعد كده الدنيا بتظبط...

ثم ضحكت وقالت بسخرية :

- معرفش هما كانوا بيحسبوها إزاي.. بس الحقيقة إن بعد أول سنة بيكونوا إتعوّدوا علي المشاكل والنكد وبحكم العادة بيحسّوا إن الدنيا تمام وإتظبَطت...

ردّ عليها (ثائر):

- عندك حق جداً..

لتكمل :

- ومتعرفش برضو هما عارفين النظرية دي وبيحاولوا يقولوا كده يضحكوه علي نفسهم ولا إيه....

قال فجاءه(ثائر):

- مَكَنش يوم ده اللي بعدتيه عن الناس..

وأكمل مشيرا للهاتف:

- تليفونك مبطلش رن..

ضحكت وهي ترد علي الهاتف:

- أيوه ياست (مريم)..

وأكملت بطريقة تقريرية :

- أنا ف الطريق وجايه أهو.. هروح البيت أظبط نفسي وأنزل أقابل (أمير)...

لم تسمع أي رد،فأكملت:

- (مريم)...

ردت(مريم) بنبرة جامدة:

- أنا عايزه أشتغل.. عايزه أنزل معاكي شغل لغاية ما أكوّن فلوس وأقف علي رجلي..

قالت لها(سما) باستغراب:

- مالك يا(مريم)..

لم تسمع رد، فقالت (سما) :

- انتي مش قولتي مش عايزه أشتغل وحبستي نفسك لغاية ماإتجوزتي تاني..

ردت(مريم) بلهجة من فقد شيئاً:

- كنت غلط.. حسبتها غلط.. ضيعت سنين من عمري في عيشة مش حابّها وسبتها وروحت كمّلتها في عيشة معجبتنيش أكتر.. عشان بس أعجب الناس.. ويارتهم بيسكتوا أو حاجة بتعجبهم...

سكتت (سما)قليلاً لترد عليها:

- بصي يا(مريم) أنا معاكي جداً في اللي بتقوليه وإنتي عارفه كده.. بس في ستات مش بتعرف تطبق الكلام ده حتي ولو هي مقتنعة بيه.. يعني ببساطة انتي بتقولي كده عشان لسه مطلقتيش.. لكن أول ما تمسكي ورقة طلاقك تاني هترجعي في كلامك.. وهتحبسي نفسك تاني....وهكذا..!

ثم قالت(سما)لتطمئنها:

- لو عايزه تشتغلي مفاتيح المحل اعتبريها معاكي من دلوقتي ولو عايزة شغل في أي حتّة تانية هجبلك.. بس أنا عايزاكي تفكري كويس.. لإن الطلاق لتاني مره أصعب بكتيييير من أول مره...

سألتها (مريم):

- إشمعني يعني.. ما هو كله طلاق !

جاوبتها(سما) بعد ما أخذت نفسها لتكمل:

- يا(مريم) يوم ما هتقعدي مع شخص ويسألك إطلقتي ليه هتردي وتقولي أسبابك صح... تمام هيقدّر إنك ممكن تكوني إتظلمتي فعلاً وبعدها تحبّو بعض وترتبطوا وتجوزوا والجو ده....

لكن إنك تتجوزي مرتين وتتطلقي وحتي لو انتي برضو مظلومة.. مش هتلاقي حد علي مزاجك يرضي بيكي.. فهتضّطري برضُه إنك ترضي بواحد تالت.. وميكونش عاجبك برضه...

قالت(مريم)متسائلة:

- انتي غريبه أوي.. طول الوقت بتقوللنا إن مفيش حد بيهمك.. دلوقتي بتعملي حساب للشخص اللي بعد كده؟!

إبتسمت(سما)وردت:

- ما هي دي المشكلة إن دايما الناس شايفني قوية.. بس الحقيقة إني فعلاً محتاجة راجل في حياتي.. بس يكون راجل بجد.. مش إتجوز عشان سني هيكبر ولا عشان أكون أم ولا عشان الناس..

ثم قالت(سما):

- بصي عشان مَنتُهش من بعض لإن الموضوع كبير أوي....من الآخر كده مفيش راجل مش متجوز قبل كده هيرضي بواحدة مطلقة

إلا القليلين أوي....واللي هيرضى بواحده مطلقة.. مش هيرضى بواحدة مطلقة مرّتين.... فهمتي حاجه؟!!

وأغلقت معها الهاتف علي أنّها تفكر في قراراها جيداً، مع أن (سما) تعرفها لن تتحمل هذا الوجع مره ثانيه...

قال(ثائر) وهو ينظر للطريق الذي شارف علي المدينة بعد ما سمع وفهم الحوار الذي دار بينها وبين صديقتها :

- انتي مشكلتك مبقتش المجتمع ولا الرجالة انتي تقدري علي الحاجات دي.. مشكلتك بقيت إنك بتحللي الأمور لدرجة مُخيفة يا(سما)..

أومأت برأسها أنها تعلم،ثم قالت مؤكدة:

- يا(ثائر) الموضوع نفسه بقي مُخيف أصلاً.. يعني المفروض يكون الجواز الحاجة الجميلة اللي ف حياتنا.. لكن عشان الموضوع أنقلب لعادات وتقاليد وإن لازم واحد واتنين وتلاتة.. الموضوع بقي مُقيَّد.. إحساس أصلا أي اتنين مقبلين علي الجواز إحساس مشروط.. إن لازم كذا عشان كذا.. لكن مفيش سنس إنك عايز تعمل الحاجة دي عشان بجد عايز تفرح الطرف التاني أو بتحبه....

يا(ثائر) إحنا لو فهمنا بجد إن الجواز هو قرار شخصي بَحت.. والله الدنيا بجد هتتظبّط.. لو كل اتنين انفصلوا تماماً بعلاقتهم عن أي حاجة فيها نون الجماعة هتنجح العلاقة.. مش تلاقي بقي العيلة والشارع والمجتمع كلّه مركّز في تفاصيل قراراتك الشخصية.. عشان كده الدنيا بتبوظ خالص...

ثم قالت بابتسامة واسعة فَرحة:

- أهلاً بمدينة القرارات..

وأوصلته لبيته،ووصلت بيتها مُسرعة،بدّلت ملابسها ونزلت مرّة أخري الكافية علي اتفاق مسبق مع (أمير)...

* * *

(١٢)

- المقابلة.....

نظرت (سما) ل (أمير) بآمال أن يشعر بما داخلها.. صامتة مُستمتعة بجو الكافية الهادئ علي غير عادته.. كأنّ كل ما حولهم يستعدّ لهذا اللقاء.. كما هما يستعدان..

كانت تنتظر تلك المقابلة منذ سنوات....

راهنت علي أن تفعل كل ما تريد في حياتها....وفعلت!

هل مضي الوقت سريعاً هكذا؟!

جمعت ذاكرتها كل تفاصيل حياتها.. وكأنّ عقلها يُقارن بين ما قالت منذ سنوات.. وعن وضعها الآن..

تتساءل هل يستحق التّحدي لكل هذا العَناء؟!

تحدّت أهلها عندما طَلبت الطلاق....!

تحدّت زوجها عندما طلبت الطلاق...!

تحدّت المجتمع عندما طلبت الطلاق...!

كل المَنافذ تُؤدي إلي طلب طلاقها.....!!

ولم تكتفي بعد.. تحدّتهم كلّهم مرة أخري....عندما رفضت أن تتزوج مرة ثانية فور طلاقها....

خَطيئتها في نظر المجتمع أنّها.. طَلبت.... ورفضت..

مع العلم أن من حق أي إنسان أن يطلب ما يُريده.. ويرفض ما لا يريده بكل بساطة بدون أي تحديات!!

ولوقتنا هذا لا ندري ما الخطيئة في أن.. نطلب.... ونرفض..؟!

ظل فترة يتأملها بفستانها الأسود القصير،وشعرها الذي

رفعته بطريقة تظهر طوله، وملامحها الذي لا تحتاج لأي مستحضر تجميلي،يكفيها ابتسامتها فقط، يراه فيها طفلة مهما بلغت من السن..

قاطع شجنها بهمهمة تصاعدت منه رغماً عنه.. هو أيضا يخشي ذاك الموقف منذ أن رآها أول مرة...

تجاهل ارتباكه وقال ما لم يأتي من أجله،يأمل أن يوصله لما يريد:

- ناوية تعملي إيه لما تفتحي محلّك التاني.. في خطة هتعمليها تقدري تديري المحلّين مع بعض...

ردّت عليه:

- عادي.... لو معرفتش أخرها هجيب مُحاسب.. بس أفتحه الأول...

وأكملت بابتسامة هدوء :

- بعد الحاجات اللي أنجزتها في حياتي لسه برضه مبحبّش الحسابات...

ابتسم لما قالت،ثم أخذ نفساً من سيجارته بعمق،في حين هي ارتشفت من قهوتها باستمتاع استمتاعاً للحديث....

تعلم تماماً أنه ينتظر ردّها علي عرض الزواج.. كادَت أن ترد عليه،حين هو قاطع أفكارها..

ليسألها بصوته العميق،مرة ثانية:

- تتجوزيني.....؟

واضح كوضوح الشمس لا يخجل من مشاعره.. رجل علي فطرته...

احمرّت وجنتيها وهو يتأملها بعين عاشق...

رنّ جرس هاتفها الذي لم يهدأ طوال الطريق،مُعلناً رقم غريب يريد أن يتواصل معها.. لينقبض قلبها لسبب غير معروف.. رفعت

عينها ل(أمير)لترى عينيه الحانيتان ينظران لها بعشق وهو يشير لهاتفها أي ترد، وهو جالس بثقة يكتسبها من فخامة بدلته السوداء ولحيته الخفيفة....

لتمسك الهاتف وترد بهدوء تتظاهر به:

- الو..

سمعت صوت تنهيدة طويلة.. توترت ملامحها لتهتف متسائلة ببطيء:

- اااالووو...

سمعت صوت لن تتخيل أبدا أن تَسمعه.. وبالأخص في هذا الوقت..

- الو

اتسعت عيناها فور سماعها صوته، ثم نظرت ل(أمير).. نظرة لم يفهمها لتراه يشعل سيجارته الثانية..

أدركت أن هذا اليوم سيجمع بين موقفين كانت تخشا كل واحد فيهم علي حدا... ظلّت عالقة نظرها بعين (أمير)، وكأنّ لا عالم حولهما كل شيئ اختفي تماماً...

في مواجهة بين الماضي..

والمستقبل....!!

ليكمل ذلك الصوت بنفس بُروده المُعتاد:

- وحشتيييننني..

سرت قشعريرة بجسدها كله وتبارد حتّي أطرافه.. فأكمل بنبرة من يحمل صخرة على صدره:

- تلت سنين وأنا مش عارف أنساكي تعبت من كتر ما بحارب مع نفسي.. وعدتك إن عمري ما هسيبك وفعلاً وفيت.. انتي اللي طلبتي الطلاق أكتر من مرة...

وأخذ نفسه وهي ظلت صامتة.. شعرت فجاءه أنها عادت

لغرفتها المظلمة وحدها، و(أمير) يشير لها بيديه في علامة علي من المُتصل وهي لا تراه.. بل لا تشعر بوجوده من الأساس...

ويكمل هو:

- أنا ب....

قاطعته ضحكتها الساخرة.. وتلألأت عيناها بالدموع.. ثم قالت بخفوت واضح للاستهزاء بيه وهي مبتسمة:

- براااافوو.

في موقف لا تُحسد عليه.. تواجهه ماضيها أمام مُستقبلها في آن واحد..

كم تعشق نفسها عندما تضع في موقف كانت تظنّ نفسها لا تستطيع الوقوف أمامه.. لكنها تتخطاه بسهولة مريرة...

دائماً كان يقول لها أن الطلاق سوف يُذلّك.. لم يتوقع أن الطلاق هو سبب انطلاقها..

أفاقت تدور بعينيها المكان كله وعقلها يعرض عليها كل ما فعله بها ذاك الشخص.. وابتسمت من سخرية الموقف، كم كانت تريد هذه الاتصالات والاهتمام في يوماً ما وهو لا يستجيب، كان منشغل دائماً بأصدقائه لأنه يضمن وجودي في بيته!

فاعتدلت في جلستها وعقلها منتعش من ذكريات تتوالي ببرودة بعد ما كانت في يوماً سبب إرهاقها..

اعلموا جيداً أن بعد اعتلالي في المقام.. فلا أنظر لمن أراد تحطيمي في الماضي.. لا غفران حينئذ.وبمقدوركم حسابها كما تريدون.. تمام.. نعم.. أنا متكبرة !

فأنا لم أبتعد عن أحد إلا بعد إعطائه كل الفرص المتاحة.. فليس هناك ما تبقي من فرص..

ما حال أصدقائك إذن.. ؟! فلماذا تهتم بي الآن ؟!!، لا أهتم بما أدركت من خطأ.. فأنا عشت بسببك أسوء أيام حياتي وأنت ما زلت

تتعمد القسوة و الإهمال بي ولم تفكر للحظة أنني بحاجة لك.. فتريد مني الآن أن اهدم ما بنيته علي حطامي من إنجازات.. !

للأسف تأخرت كثيراً.. أوليس من العدل أن أذيقك من الوجع كما أذقتني،ولكني لا أتعمد ذلك.. أحب أن أترك الأيام تأخذ لي حقي ممن ظلمني.. فأنا لا قليلة الحيلة وإن كنت يوماً رأيتني لا حول لي ولا قوة وأنا بجانبك فكان هذا باختياري 'كنت أحب انغماس قوتي بين ذراعيك.. !

لذا فاتركني في طريقي كما تركتني من قبل باسم الذل لوحشة الظروف،الأقاويل، الألسنة والعيون.. !!

فمن تقدر علي تحمل كل هذا فلا تنظر لأمثالك ممن يختبؤن بمواعدة أصدقائهم للهروب من تحمل مسئولية بيتهم.. فخربوه.. !

أستطيع أن أقول لك أن من زرع فيك فكرأن الزواج وفرة(الأكل والشرب)فقط فهو عقيم الفكر،عديم الإحساس، لا يصلح لمعاشرة جنس النساء أو علي الأقل الجميلات منهن..!

أراك تزوجت من امرأة لا تهتم بالتفاهات كما سميتها.. فلماذا لا تقتنع بها وكنعمة الزوجة....!!

فهمت الآن ما كنت أحاول أفعله بعلاقتنا كي لا تنتهي بمثل هذا الملل.. !

داركل هذا الكلام في عقلها،لطالما كانت تريد أن تقولوا له،ثم قالت له بتحدّ مقلّدة نَبرته الباردة :

- وبعدين.....

وددت أن أقول لك شكراً.. فلقيتني درس لم ولن أتعلمه في مكان آخر.. تعلمت أن أري من جميع الزوايا بعين واحدة، تعلمت أن أعبر المصاعب وكأنها لم تكن.. وأن أنتظر الضربة التالية من مَن تأتي وآخذها بصدر رحب،علمتني أن أسير الطريق المظلم وأحياناً العكسي

بدون صاحب بل أُصادق نفسي.. !

علمتني أن أقف من فوق ولا أخشي السقوط،لأني رأيت سقوطي بالشكل المعكوس للمفهوم،فقلبت الصورة لأري نفسي تحلق لا تهوي !!

جرت في عقلها محادثات أخري كانت تأمل أن تقولوا له، ولكنها فضلت الصمت معه،

ثم قالت له بعد فترة صمت، فبين كل جملة وجملة محادثات لا يسمع بها أحد :

- المطلوب مني إيه دلوقتي؟!

لم يفهم ماذا تقصد،فقال بجدية :

- أظنّ إن إحنا بعدنا عن بعض بما فيه الكفاية.. كل واحد عرف ق....

بأي حق تظنون أننا ننتظركم.. فلو أردنَاكم لكنّا طَرَقنا بابَكُم...

فقاطعته ثانية وهي تمسك بيد (أمير) ناظرة لعينيه مُبتسمة،لتقطع آخر خيط للماضي وتوصله لمُستقبلها،وردت عليه رد سحقَه:

- مش هينفع..

أصل أنا محتاجة رااااجل.....!

**تمت **

مشاعرنا التي لا تُقال ولكن تبني عليها قرارتنا المصيرية..

- إليكِ أنتي.. لا تدَعي المجتمع يقتلك.. لا توقفي مكانك، أمامك حياة وأهداف، غيّري فقط تفكيرك، أمضي في طريقك ولا تلتفتي أبداً لمَا يقولون ولا تردّي عليهم أريهم فقط أفعالك وتطوّرك ونجاحك وإياك أن تريهم ضعفك..

- وإليكَ أنتَ.. حرّر عقلك من عبودية الفكر.. ارتقي بنفسك لعالَمك أنتَ، ولا تدُور في فلك أجداد أجدادك....

- ولمن يريدون النجاح.. أعانكم الله علي هذا الطريق.. من أصعب الطرق هو الطريق إلي النفس..

- وللفاشلين.. لا يوجد كلام لديكم.. لدينا أفعال.. موتوا بغيظكم.. وانظروا إلينا وقولوا إنه حظ وقدرونصيب.. !!
لا لا إنه الفشل....

أسمـــاء كمـــال

ماســـتر©